لن ازعجك بعد الآن

إبحث عن الأفضل .. حتى لو كان صعباً ..
حتى وإن كان حلماً ..
يكفي انه كان حلماً جميلاً ...

عبدالرزاق يحيى

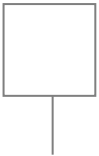

الفهرس ...

١- أنت ما تلبسه ..
٢- اختر طريقك الجديد بنفسك ..
٣- أفضل صديق..
٤- الماء والدماء ..
٥- الملل ..
٦- كن حذراً ..
٧- العائلة..
٨- الشجرة التي تغفو تحتها ..
٩- لن تعرف قدره ..
١٠- نصفك الرائع ..
١١- اصنع بنفسك ..
١٢- سلاح ذو حدين ..
١٣- حفنة من المكسرات ..
١٤- لا رأي لقلبك في حبه ..
١٥- جرعة من المرح ..
١٦- اختر البئر المناسبة ..

إلى ولدي الطيب..

إنّنا كبشر.. لسنا معصومين من الخطأ . . .
ولأني أحبّك.. فمن واجبي أن أبيّن لك خطأك وأنصحك . . .
وبما أن الإنسان بطبعه يكره النقد والنصح،
ولكي لا تملّ من خوفي عليك وعلى مستقبلك،

كتبتُ لك بعضاً من أشياء مرّت معي . . .
ومما تعلّمت خلال رحلتي في هذه الحياة . . .
ولن أزعجك بعد الآن . . .

تخيّل كلَّ شيء تريد الحصول عليه في هذه الحياة،

على أنّه فراشة ..

مهما ركضتَ وحاولتَ أن تمسكها فلن تستطيع،

وستهربُ عنك بعيداً ..

وكلما زاد إصرارُك لتلحق بها،

كلما ارتفعتَ للأعلى ...

ولكن !! ما إن تهدأ ، ستحوم حولك ..

ولو صبرت أكثر وجلستَ ساكناً فسوف تأتي إليك،

وتقف على كتفك ...

مقدمة...

النصيحة... هي الأساس الذي بدأت منه فكرة هذا الكتاب...

النصيحة كعامل يحمل مواد البناء على ظهره ويصعد بها إلى الطابق العلوي وينزل، ويكرر هذا العمل الشاق بكل نشاط .. لعدة ساعات.. هناك جرح في ساقه لا يعلم به، ولا يشعر بالألم الناتج عنه.. حتى يخبره شخص عن هذا الجرح... فما إن يراه حتى يقول: هذا الجرح يؤلمني.. كيف سأنهي العمل...

هكذا النصيحة.. فأنت تملك القدرات وتستطيع النجاة ويمكنك أن تحقق النجاح .. نعم.. أنت تملك خطوات النجاح.. ولكنك لا تنتبه إليها ... حتى يذكرك أحدهم بها ....

المشكلة هنا.. أن النصح ثقيل على النفس البشرية مهما كان مصدره.. حتى لو كان الشخص الناصح ذا مكانة رفيعة على جميع المستويات.. فمعظم الناس لن يستمعوا له.. كما قال الله سبحانه وتعالى ((وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ))

لا أحد يستمع للنصيحة ويتقبلها إلا ما ندر .. مع أنها مفيدة جداً.. وتجعلنا نقدر قيمة أشياء نمتلكها ولكننا نغفل عنها ولا نكترث لها..

ولا تغيب عنى صـــورة والدي رحمه الله عندما كان يقدم لنا نصـائحه الثمينة .... لأن نصـيحة واحدة يمكنها أن تنقذ إنسـانا من أكبر خســـارة يتعرض لها في حياته... ونصـــيحة أخرى تجلب له كنوز الأرض....

وقد أحسست بشعور الأبوة عندما عشت فرحة رؤية مولودي الأول، التي لا يمكن وصـفها ولا تكرارها .. عندما ترزق بطفل تتمنى أن تضـحي وتقدم له الدنيا كلها حتى لا يُصـيبه مكروه.. وهذا الحب هو السبب والدافع لكتابة أول نصيحة لولدي الصغير .. التي كانت نصيحة ســـمعتها من أبي ... قررت كتابتها في ورقة صـــغيرة فيها القليل من الكلمات.. أخبتها له حتى يكبر وأقدمها على شـكل تذكار يحتفظ به.. ثم أخذتني الحروف في مسـار طويل من الأسـطر التي اسـترسـلت حتى أصـــبحت صـــفحات من النصـــائح التي تنبع من الحرص عليه وعلى مستقبله.. ولسبع سنين توالت واحدة تلو الأخرى.. حتى انتهت بكتاب يحتوي أمورا حســـيـة ظـاهرة موجودة حولنـا وتلازمنـا على طول الطريق....

عندما بدأت العمل على هذا الكتاب وضعت لعملي شرطين ...

الأول أن يكون الكتـاب ذا طـابع إســـلامي عربي... لأن هذه الدنيا حلم جميل لن يطول، وسنصحو منه عن قريب...

أما الشرط الثاني فأن يتميز بالصراحة التامة المجردة من أي تمويه أو مراوغة.. لأن الكذب أبعد ما يكون عن محتوى هذا الكتاب الذي يتميز بصدق التجارب والقصص التي يحتويها .. ومن ثم تكون قد أدت الغرض التي دونت من أجله ....

هذا الكتاب سيغنيك عن شراء أكثر من عشرة كتب تحوي قصصا خيالية.... أتمنى أن ينقذك وينقذ ولدي وكل من يقرأه من بعض الزلات.. وليس فقط أن تقرأه ويعجبك.. وإنما .. أن تضعه على الرف ليقرأه من تحب....

أما عن مادة هذا الكتاب فقد أخذت بعض القصص القصيرة والمواقف من الإنترنت.. وبعضها لم أجد مصدرها أو مؤلفها رغم البحث عنه وطرح السؤال في مجموعات القراءة والكتابة .. لذلك كتبتها مجردة من المصدر ...

بدأت ترتيب الكتاب من كل الجوانب.. ابتداء بالمظهر، ثم آراء الناس، ومواجهة خطورة اتباع أفكار الأغلبية السائدة والانسياق وراءها .. ثم ما يحيط بنا من أشياء نحتاجها في حياتنا ولا نستطيع العيش بدونها ... وكتبت مجموعة حلول ميسرة لكل مشكلة.. وضعتها لك بطريقة شيقة وسهلة وممتعة ....

وفي النهاية... أيها القارئ الحبيب.. لا أريدك أن تشـــترى الكتاب بثمن ســـاندويش وعلبة مشـــروب غازي وينتهى كل شـــيء.. وإنما.. أنا أحتاجك لتقرأه وتقول في نفسك: ***لقد استفدت كثيراً، شكراً لك، وفقك الله في الدنيا والآخرة.... .*** وهذا هو هدفي الحقيقي وغايتي من الكتابة، وهو يعادل سنين من تعبي وأكثر ....

أرجو أن يعجبك كتابي وتنتفع به... أما إن وجدت به ثلمة أو خللا .. ولا بد أن تجد.. فأرجو أن تلتمس لي الأعذار، لأني لســـت فيلســـوف زماني، ولا أمتلك رفوفا ضخمة ..

ما أنا إلا أب تعلق قلبه بولده الصغير .....

أنت ما تلبسه ...

ذهبَ عالم مشـــهور في زمانه وأحد ســـادات قومه إلى إحدى المناطق القريبة من قريته.. كان أهل القرية قد سـمعوا به ولكن أغلبهم لا يعرفه شخصيّاً.. كان يرتدي الثياب التقليدية، حاله كحال أيّ شخص من عامّة الناس، فلم يلتفت إليه أحد.. أحسّ في قرارة نفسـه بشـيء من الاســـتصـــغار وقلّة التقدير.. فقرَّر أن يعود في يومٍ آخر.. ولكن هذه المرة ارتدى أجمل ما عنده من ثياب وحذاء ومعطف جديد.. وعاد إلى القرية نفسـها.. فاسـتقبله كبار القرية أجمل اسـتقبال، ورحّبوا به وتلقّوه بالأحضـان وأجلسـوه في أفضـل الأماكن الخاصـة بالضـيف صـاحب المقام الرفيع.. فلما جلس لتناول العشـــاء.. أخذ يأكل وكمّه يلامس الطعام.. فقال له شـابٌّ يجلس بجواره: لو رفعته قليلاً حتى لا يتّسـخ.. فردّ عليه مبتسماً: لولا كمّي ما أكل فمي...

قال رســـولُ الله صـــلّى الله عليه وســـلّم: إنّ الله جميلٌ يُحبّ الجمال...

وقال أيضـــاً صـــلّى الله عليه وسـلّم: إن الله يحبُّ إذا أنعمَ على عبدِه نعمةً.. أن يرى أثرَ نعمتِه عليه...

يقول ابنُ القيّم رحمه الله: وكان صلَّى الله عليه وسلّم يلبس لهما (أي للعيدين) أجملَ ثيابه.. وكان له حُلةٌ يلبسها للعيدين والجمعة...

ربّما تتعجّب.. أنّي في بداية هذا الكتاب أحدّثك عن المظهر، وأحثّك عليه.. المظهر الذي يعتبره الناس شيئاً سطحيّاً...

فالرأي السائد يخبرنا أن تصرفاتِ الشخص وشكله الخارجي هو انعكاسٌ لما في داخله.. بمعنى أدقّ.. إن داخل الإنسان هو المحرّك والمؤثّر في ظاهره وتصرفاته.. ربما يكون هذا صحيحاً... ولكن.. لننظر إلى هذا التحليل من الجهةِ الأخرى.. أي لنعكس هذه النظرية.. لنقم بتجربةٍ جميلة وسهلة.. لنأخذ شخصاً سويَّ الطباع والشكل من عامة الناس.. ولنفرضه أنت..

في البداية جرّب أن تلبس زيَّ طالبِ كليّة الطب.. وتحمل كتباً وصدرية بيضاء.. وترسم على وجهك ملامح البراءة.. ثم تقوم بأداء بعضٍ من أمور حياتك الاعتيادية.. من الركوب بالحافلة، والمشي في الطرقات، والتسوّق.. وفي أثناء قيامك بهذه النشاطات، راقب تصرفاتك.. راقب مستوى الهدوء لديك.. وطريقة تبادل الاحترام مع المقابل...

في يوم آخر البس زيَّ أستاذٍ جامعي.. مع ربطة عنقٍ وحقيبةٍ سوداء، مع قليل من ملامح الحزم والجدّية في عينيك.. ادخل صالون حلاقة.. تسوّق وجرب مقاس الكثير من الملابس.. تناول الغداء في مطعم.. هل ترى اختلافاً في طريقة كلامك ونظرتك للناس؟ هل ترى أن داخلك يتغيّر أيضاً ؟ كيف حدث ذلك؟؟ حسناً !..

اليوم الثالث والأخير من تجربتنا...

لنجرب البنطال الفضفاض رصاصيّ اللون.. وقميصاً لونه باهت بخطوطٍ عمودية، ومقاسه أكبر.. بحيث تبدو طياته قد تجمّعت خلف الظهر وتحت الحزام.. والهواء يلامس الجلد من كل الاتجاهات.. ونترك الأكمام على حالها وأزرارها مُقفلة.. ولست بحاجة إلى أيّ تغيير في الملامح.. فالشكل الخارجي كفيلٌ بتبديده...

ثم اذهب إلى بائع أجهزة كهربائية واسأل عن عدَّة أجهزة.. شرط أن تكون حصة كل جهاز ما لا يقل عن أربعة اسئلة.. ثم جرّب هذا مع بائعة في محل كماليات نسائية.. اسأل عن العطور والمكياج، الإكسسوارات، أصباغ الشعر.. اشترِ حاجة رخيصة جداً.. ثم در في المكان واسأل مجدّداً...

الآن.. راقب نفسك ! كيف تشعر ؟ وكيف تتكلّم ؟..

تخيّل أنك شخص آخر يقف على بعد أمتار عنك.. انظر إلى وقفتك، استقامة جسدك، مكان يديك.. هل أحسست ببعض الازدراء والضعف وقلّة الحيلة...

لن أزعجك بعد الآن ...

هل لاحظت كيف يؤثر مظهر كل من الأشـخاص الثلاثة على طريقة تعامل الناس معهم.. وكيف ينظرون إليهم.. ورحابة الصدر في تبادل الحوار معهم.. وتحمل الإجابة عن أسئلتهم المتكرّرة.. وبلا شك، مقدار الخوف أو القوة التي يظهرونها أمامهم...

فكلّ مظهر من مظاهر الأشخاص الثلاثة، كان السببَ الرئيسيّ لتغير كلام وتصرفات وسرعة تلبية الطلبات.. وحتى الابتسامة من قبل الأشخاص الذين قابلهم...

والأهمّ من هـذا... وهو محور حـديثنـا ومبتغـانـا من هـذه التجربة.. أنك لو قارنت بين الأشـخاص الثلاثة وتفحّصـت الفرق الكبير.. لعرفت كيف أن كلّاً من ملابسـك المختلفة.. وتعابير وجهك، وتسـريحـة شـعرك، كـان لهـا أثر كبير على تغيير داخلـك وقوة شـخصـيتك.. والإحسـاس المختلف لمكانتك بين الناس.. بل إنه غيّر أيضـاً طريقة كلامك.. وطريقة انتصـاب جسـدك.. ووضـعية يدك ومكانها في كل مرة...

وربمـا غيّر حتى الموضـع الـذي تنظر إليـه عينـاك في كلّ تجربة.. مرّةً إلى الأرض، ومرّةً إلى عيني الشخص المقابل.. أو تلتفت يميناً وشمالاً...

وهذا يدلّ على أن الشـكل الخارجي للإنســان يؤثر على داخله وأساسه.. ثم يؤثّر أكثر على تصرفاته الظاهرة وثقته بنفسه.. التي تبان له في مكانته التي يستشعرها بين مجتمعه...

الشـــكل الخارجيّ ليس بالأمر الهيّن.. بل هو يمثّل المحرك الأكبر في حياة الإنسان وتصرّفاته.. وبما أن تغييره سهلٌ.. إذن فتغيير داخل الإنسان للأفضل.. أسهل بكثير مما نتصوّر...

الآن.. لنستمر ونتثبت أكثر.. لندخل الأستاذ على بائعة المكياج للقيام بنفس التصرفات مع تكرار الأسئلة.. بلا شك.. ستلاحظ الفرق لتصــرف الهيئتين (لنفس الشــخص) وثقة كل منهما بنفســه.. وكذلك الفرق في طريقة تعامل البائعة معهما...

ولو أدخلنا الرجل (ذا الملابس الفضفاضة) على بائع الملابس (في تجربة الأستاذ) سيتبيّن لك الأمر بوضوح أكثر.. من خلال ثقة الرجل بنفســـه (عند تغير ظاهره) والفرق في طريقة تعامل البائع معه...

إن هذه التجربة واضحة بمجرد تخيلها...

وتتكرّر كثيراً أمامنا من خلال ما يلبســـه أطفالنا.. وتغيّر تصرفاتهم بما يناسب شكلهم الخارجيّ.. لأن الطفل في الغالب يكون على سجيّته...

إننا ننظر إلى نفس الشخص بأكثر من حالة وبحسب ما يرتديه.. فمرّة نراه وهو يصلح شيء في بيته بملابس العمل.. ومرّة نراه بملابس التسوق.. ومرّة ثالثة بملابس الوظيفة وقد صفف شعره ووضع عطراً ولمّع حذاءه.. وفي كل مرّةٍ نراه شخصاً آخر، وننظر إليه نظرة مختلفة.. وهو بدوره ينظر لنفسه بهذه الطرق الثلاث...

الناس لا يعرفون أيّ شيء عنك.. لا عن أخلاقك، ولا عن ثقافتك أو شهادتك، ولا حتى قوة جسدك.. لا يرون إلا ملابسك وشكلك.. فحافظ على مكانتك، باختيارك لما تلبسه...

في صغري كنتُ من عائلةٍ فقيرة وملابسي تشرح للناس حالي.. ذهبت يوماً لأشتري قطعة حلوى بربع دينار.. أعطاه لي أبي صباحاً عند ذهابي للمدرسة.. وقفت أمام المحلّ القريب من بيتنا، وبقيت أتفحّص الأغراض لأشتري أفضل ما يمكن بهذا الربع دينار.. لأني لن أستطيع شراء أكثر من قطعة واحدة.. والمرأة تراقبني وتتفحّص ملابسي.. وأخيراً قالت لي باللهجة العراقية: (مبيّن عليك حرامي) بمعنى، يبدو من شكلك أنّك لص تريد سرقة بعض الأغراض..

٩٩% من الممثلين في التلفاز، وعارضـــات الأزياء وموظفي الاستقبال في الشركات.. كلّهم رشيقون ويرتدون أفضل الموضات.. ويضعون المكياج والعطور.. ويتمرنون يوميّاً للمحافظة على استقامة أجسادهم.. هل هذا تصرف غير مقصود!! أم أنّهم يعلمون أن سر النجاح في كلّ أمور الحياة والعلاقات يأتي من خلال المظهر والجمال.. حتى إن مسؤولي الموارد البشرية في الشركات يتلقون مرتباً عالياً لاختيار الأجمل والأكثر وسامة.. ووضعهم في المقدمة كواجهة للشركة...

ويمكنك أن تُلبس الخبير ملابس رثة.. وتُلبس العامل من أرقى الماركات.. ويمكنك أن ترى الفرق في تعامل الأشخاص معهم.. الناس لا تعلم الغيب.. الناس لها عيون ترى وتحكم عليك من خلالها..

فحتى الكتاب الجيد المفيد يحتاج إلى غلاف جميل.. وعنوان وعبارات تشويق، لجذب القرّاء...

وبمفهوم أبسط.. البس بدلةً رسمية وانظر لتصرفاتك.. سوف تنقلب رأساً على عقب . . . ارسم على وجهك ابتسامة كاذبة.. وسيختفي الحزن وتبتسم لا إرادياً . . .

حتى الطالب الهادئ عندما تجلسه في المقاعد الأخيرة.. يصبح مشاكساً . . . فالظاهر يغير الباطن.. وليس العكس...

الآن.. تعلم يا ولدي الطيّب...

إنّ هناك أشياء بسيطةً يمكنها تغيير أشياء عظيمة.. والاهتمام بمظهرك ليس صعباً.. فشراء قطعة ملابس غالية الثمن.. واحدة كل شهر تجعلك لامعاً على الدوام.. واختيار تسريحة الشعر التي تناسب وجهك وتُظهرُه ودوداً (وليس المهم الموضة) شرط ألَّا تؤخّر حلاقة شعرك أكثر من خمسة عشر يوماً . . . ولا تلبس أشياء ينظر لها الناس باستغراب . . . كُلْ ما يعجبك، والبس ما يعجب الناس...

وكذلك اجعل العطر شيئاً أساسيّاً في حياتك...

في صغري.. كنت أعملُ في السوق.. كل يوم عصراً يمرّ بائع كرزات متجول.. أنتظره لأشتري منه وأفضّله على غيره.. إمَّا لطعم كرزاته المحمّصة جيداً، أو لأسلوبه الجيّد في التعامل.. هو ما جذبني إليه.. ناديته يوماً لأشتري منه بعض الكرزات، ولكن على بعد متر تقريباً وصلتني رائحة جسده التي لا تُحتمل.. كانت هذه آخر مرّة أتذكر أني اشتريتُ منه.... تعب من التجوال، وهذا سبب الرائحة.. كان يمرّ كلّ يوم بعدها ينظر لي لأناديه وأشتري منه كالعادة.... كان رجلاً ودوداً لا تفارق الابتسامةُ عينيه.. كنت أحبّه.. ولكن هذه الرائحة قطعت كل ودّ بيننا.. وطغت على تعامله اللطيف.. وعلى طعم كرزاته...

لن أزعجك بعد الآن ...

قديماً.. كانت هناك فتاة شـــديدة الجمال، كأنها البدر في ليل التمام.. خطبها ملكٌ من أبيها.. وفي ليلة زفافها وحينما همّوا بأخذها.. قالت أمها لصديقاتها: قبل أن تدخلنَ بها على زوجها، ضعوا لها العطر واجعلوها في قمة جمالها.. فإن الرائحة العطرة تزيد الجمال حســناً.. وتقوّي رغبة زوجها إليها.. ولكن صـــديقاتها غفلن عن هذا الأمر.. ودخلت إلى زوجها وقد نسيت أن تضـع العطر.. فلما أصـبح سـألوه: كيف وجدت عروســك؟؟ قال: ما رأيت مثل الليلة قط.. لولا رائحة كرهتها...

حتى في العمل يمكنك وضــعُ واحدة في دولابك الخاص.. فلن تضــرك ثلاث رشــات فقط.. على الصــدر وجانبيه.. كما يوصـــي أخصائيو العطور...

ولا تنسَ أن أولادك وزوجتك يفتخرون بك أمام أصـــدقائهم وأقربائهم.. فكن أنيقاً ومرتّباً عندما تسير معهم...

حتى في أســوأ الحـالات لا تهمـل مظهرك.. فلا تـدري من يزورك وأنت على هذه الحال...

كان والدي رحمه الله يوصـــيني دائماً إذا أردت الســفر إلى أقربائي أو الخروج مع أصـدقائي.. ويذكّرني بالمثل القديم.. اذهب إلى عدوك جوعان، ولا تذهب إليه عريان.. أي أنه يراك ولا يشـــعر بجوعك...

وهناك أيضـــاً.. الانطباع الاول.. إنه يدوم طويلاً.. فإذا كنت جديداً في مكان أو عمل أو التقيتَ بشخص لأوّل مرة.. ابتسم وقل كلمةً طيبة (إضافة إلى مظهرك الذي تعوّدت روعته في نفسك)...

شـــيئان اعتنِ بهما.. صـــور المعاملات،، التقطها عند أمهر المصـــوّرين ولا تبخل عليها.. وليكن خطّك في الكتابة جميلاً.. لأنهما يدلان عليك عند غيابك...

وأخيراً أقول لك .. البس لنفسك، ولتراك عيناك...

حتى إن كنت تظن أن الناس لا تهتم بالمظاهر والشكل، فالبس لنفسك.. لا أحد يستحقّ أكثر من نفسك لتفرح بها.. ولها.. ومعها.. كلّ شـــخص مهتم بنفســـه ومشـــغول بحاله، ويريد من غيره أن يتأمّله ويراقبه.. يُحبّ أن تنظر أنت وغيرك إليه.. فاهتمّ بحالك وافرح مع نفسك، وافتخر بها.. والبس لنفسك ولتراك عيناك...

أمّا التصرّفات.. فالأمر سهل جداً...

كنْ على طبيعتك ولا تقلّد أحداً رأيته أو ســـمعت عنه.. لأن الجميعَ يميّز التمثيل والتكلّف، حتى الأطفال.. وربما تحتاج للتخلّص من بعض الحركات، كوضـــع اليدين خلف الظهر أثناء الوقوف أو المشي...

أكثر الناس تهتمّ بالظاهر قبل الباطن وجوهره.. ولهذا عليك أن تكون حريصاً على مظهرك وأفعالك...

حتى إني بدأت أحسد بعض الحشرات.. لأنها ترى بالأبيض والأسود فقط...

ولكن لا تبالغ.. لا تبالغ بالحفاظ على شكلكِ لامعاً أكثر من المطلوب.. عندما كنت صغيراً رأيت أحد المراهقين يقف في الباص مع وجود العديد من المقاعد الفارغة.. ولكنه لا يريد الجلوس.. بقي واقفاً في الباص طوال الطريق.. وقد تحمّل كل هذه المعاناة حتى لا يخرج القميص من تحت الحزام، ولا تظهر أثر الطيات في بنطاله.. والغريب أنها لو ظهرت ستكون من الخلف.. خلف الركبة.. ولكنه الإسراف الذي لا يحمده أحد...

لقد انبهرت بشخص لم أرَ له مثيلاً في حياتي كلّها.. صحبته ما يقارب عقدين من الزمان.. شخصاً استثنائياً.. كنت أقول له دائماً: كأنّك من الجنة... وسبب هذا الوصف.. أنّي طول صحبته لم أرَه يبصقُ أبداً، ولا يتجشّأ.. ولا يلمس أنفه بيده ولا حتى بالمنديل.. لا يخرج من بيته إلا كأنه ذاهب إلى حفل زفاف، أو يقابل مديراً لتوظيفه.. كان إنساناً رائعاً بمعنى الكلمة...

فلا يعارض أحدهم ويقول لك إن الشـــكل الخارجي للإنســـان شـــيءٌ ثـانوي.. فـالمجتمع هو من يحكم، وأنـت لا تعيش لوحـدك في صـــحراء أو غابة.. أنت فرد من المجتمع، تحتاجه في كل لحظة من حياتك...

كـل هـذا الطرح والإيضـــــاح لتغيير المحتوى الخفي داخـل الانسـان.. فإذا أردت أن تغيّر داخلك، وتصـبح شـخصـاً أفضـل.. فابدأ بمظهرك...

فأنت ما تلبسه.. وأنت ما تأكله ..

الريش الجميل

يصنع طيوراً جميلة...

اختر طريقَك الجديدَ بنفسِك ...

تذهب إلى المستشفى أنت وأخوك الأصغر منك سنّاً.. داخل العيادة.. يطلب منك الدكتور الانتظار خارجاً حتى تظهر نتائج الفحوصات، تجلس في الممر تراقب الناس.. وتحمد الله أن مصيبتكما أهونُ بكثير من مصيبة معظم هؤلاء المرضى.. بعد نصف ساعة وبينما أنت تطمئِنُ أخاك بأنَّ كلّ شيء سيكون على ما يرام، يأتي السكرتير ويخبرك بأنّ الدكتور يريد مقابلتك على انفراد.. تنظر إلى أخيك بشعورٍ ممزوج بين الخوف والشفقة عليه.. تُسمعه بعض الكلمات التي تقوّي عزيمته ثم تتركه وحيداً..

داخل العيادة تتفاجأ بأنه يحتاج إلى علاج بالصدمة الكهربائية، تناقش الدكتور بحثاً عن علاج أقلّ ضرراً وخطراً على أخيك الصغير.. تستعطفه لحلٍّ أسهل وكأنك ستفقده.. تواصل الجدال والبحث وأنت تتخيّل منظره وهو يصعق بالكهرباء.. ممداً بين ثمانية أيدٍ لرجال تخلو ملامحهم من أي رحمة.. يمسكونه بقوة وهو يتلوّى بينهم بشدة رغم أطرافه المربوطة جيداً إلى السرير.. لا صوت له سوى الأنين لأنهم وضعوا خرقةً في فمه.. تتخيّله ينظر إليك متوسلاً لتخلّصه من هذا العذاب، فحتى الصراخ الذين يواسيه قد حُرم منه..

بعد كل هذه التخيّلات.. يصرّ الدكتور على العلاج بالصدمة، وهو يطمئنُك بألّا ضرر فيه، ويعدُك بأن تشكره بعد هذه التجربة..

الآن.. وقد يئست عن تغيير رأيه..

ســـتأخذ أخاك وتهرب به وأنت تخبره: لن أترك أحداً في هذا العالم يمسّك بشعرة.. وهذا ليس شعورك وحدك في موقف كهذا.. بل كلّ شـــخص ســـوف يتّخذ نفس ردة الفعل وربما أكثر.. فكلّ منّا يحمل صوراً في مخيلته لمرضى مقيدين على السرير ويُصعقون بلا رحمة، بعد رفع مستوى الفولتية، مما يزيد الألم والصراخ.. بسبب الجنون أو لأنهم افتعلوا بعض الشـــغب في أماكن حجرهم، وربما لأنهم اتخذوا موقفاً معادياً لشخص ذي مستوى رفيع في النظام الحاكم.. كما في فيلم المرأة التي تفقد ابنها وتعارض ضابط التحقيق فيأمر بإدخالها مستشفى المجانين.. وهناك تُصـــعق بالكهرباء وتُعذّب مع رفيقاتها.. هذه هي الفكرة التي تخيّم على مخيلة المجتمع.. ولو سألت أي شخصٍ لرفضَ هذا العلاج وبدون تردّد.. وبجواب أكثر إيقاعاً: *هل أنت مجنون،، سوف يقتلونه...*

هل هم على حق ؟ أم أن هذه المعلومات استولت على عقولهم من خلال قصص هوليود والأفلام العربية القديمة.. وهي تصوّر بطل الفيلم يُعذب بواسطة الصعقة الكهربائية.. أو لنساء اتُّهمن بالجنون في فيلم حزين شاهدناه سابقاً.. أو ربما لمعرفتنا البديهية بخطورة الكهرباء على جسم الانسان.. وكثير منا جرّب ما تفعل به صعقة صغيرة لجزء من الثانية..

كل هذه المعلومات ترسّـــخت في أدمغتنا بدون لمحة واقعية واحدة، وبدون سـؤال شـخص جرّب هذا العلاج أو قرأ كتيباً صـغيراً عن أسراره وضـرره.. إن وجد.. بل حتى الشخص الذي امتلك بعض المعلومـات عن هـذا النوع من العلاج فهي معلومـات قـديمـة، لطرقٍ بدائية لأولى المرات التي اســتُخدم فيها.. وهو لا يعرف شــيئاً عن تطوره وجوانبه الآمنة حديثاً.. وبذلك ترسّــبت لديه تلك المعلومات القديمة والتي لم تحدّث لاحقاً.. أضف إليه اختلاف التطور بين الدول.. ولكن النظرة العامة الرافضـة لهذا النوع من العلاج تبقى نفسـها في كلّ مكان..

في كتاب (أشــهر 50 خرافة في علم النفس) الخرافة رقم 50 يخبرنا أربعة من علماء النفس، أن الأضــرار لهذا العلاج كانت قبل خمســين عاماً على الأقل.. أما اليوم فإن مرضــى الاكتئاب الشــديد والهلوســة النادرة، يُحقنون بمادة مخدّرة لتهدئة حركة المريض من التشنج.. وإيقاف سيلان اللعاب من فمه...

وفي دراســة أُجريت على أشــخاص جرّبوا هذا العلاج. قال 98% منهم: إنه لن يتردد في تجربته مرة أخرى إذا احتاج إليه.. وفي دراسة أخرى قال 91% منهم: إنهم ينظرون إليه نظرة إيجابية...

إن الأمثلة من هذا النوع كثيرة جدّاً، نسمع بها كلّ مرة ثم يظهر ما يخالفها من الحقائق.. بل حتى هذه الحقائق الجديدة بعد أشهر يظهر ما يقلبها رأساً على عقب.. خاصة في أمور الدين.. تجد الجميع متفقين على أمر خاطئ ويدافعون عنه ويشفقون عليك لمخالفتهم.. فكم من عظيم من عظماء الإسلام مظلوم عند عامّة الناس...

تتحسّر عندما تعلم أنهم يكذبون عليك كل هذا الوقت وأنت تصدّقهم، اقرأ كتاب "مائة من عظماء أمة الإسلام غيّروا مجرى التاريخ" وسترى العجب، وتكتشف أسراراً غريبة وأبطالاً خارقين، كلّ واحد منهم يعادل الآلاف بل الملايين ممّن خدعونا بهم في الإعلام وأفلام هوليوود.. وتعرف حقيقة الأبطال الذين تمّ تشويه صورهم، ستكتشف ما الذي كان يفعله أبو سفيان وزوجته هند في معركة اليرموك، التي حدثت بين نصف مليون مقاتل من الروم وكأنهم سيلٌ جارف، يقابلهم اثنان وثلاثون ألفاً من المسلمين فقط..

وتقرأ عن كتيبة الموت، والمهمة المستحيلة.. هذه المهمة تتضمن خطة نادرة وعجيبة، وهي الإبحار من تركيا إلى الأندلس ومحاربة أساطيل الجيوش الصليبية مجتمعة.. ثم التمكن من اختراق كل تلك الحصون والرسو الآمن في إحدى المدن الأندلسية المحتلة من قبل القشتاليين.. والتحوّل إلى اليابسة وخوض حرب شوارع في المدينة وأزقّتها ضد القوات البرّيّة الإسبانية..

وبعد أن يتمّ تحرير المدينة ورفع راية الإسلام من جديد على قلاعها.. ومباغتة الكنائس بصورة مفاجئة للحيلولة دون هروب القساوسة الذين يعرفون أماكن غرف التعذيب السرّية التابعة لمحاكم التفتيش.. وقبل أن يتم نقل المُعذّبين المسلمين منها.. ثم تحريرهم ونقلهم حملاً بعد غياب الشمس لتجنّب إصابتهم بالعمى، نتيجة عدم رؤيتهم الشمس لسنين..

ثم إخلاء المدينة على وجه السرعة مع مراعاة ألا تستمر العملية منذ الرسو في الميناء وحتى وقت الإقلاع أكثر من ست ساعات فقط.. لتجنّب الاشتباك مع قوات الدعم والمساندة الآتية من المدن المجاورة.. وأخيراً الإبحار ليلاً وتكرار القتال مع الأسطول البحريّ أثناء العودة، والطريق يكون نحو الجزائر ومن طريق آخر، وليس تركيا.. لإسعاف الأسرى بأسرع وقت، ولخداع بحريّة العدو من جهة أخرى.. انتهت المهمة..

هل رأيت أو سمعت أو قرأت عن مهمة مستحيلة في تاريخ البشر أصعب من هذه المهمة ؟ الغريب أن القائد بربروسا رحمه الله قام بتنفيذ هذه العملية بنجاح منقطع النظير! والأعجب من هذا أنه قام بتكرار العملية أكثر من مرة لينقذ بجيشه عشرات الآلاف من أرواح المسلمين...

واليوم لو سألت أي شخص شاهد فلماً من أفلام قراصنة البحار التي تنتجها هوليود عن اسم أشهر قرصان يظهر في الأفلام والقصص وحتى مسلسلات الأطفال.. حينها لن يستغرق ذلك الشخص زمناً طويلاً بالتفكير حتى يجيبك بأنه القرصان ذو اللحية الحمراء والعين الواحدة واليد المقطوعة والقدم الخشبية "بربروسا".. والحقيقة أنه لم يكن قرصاناً متعطّشاً للدماء كما يصوّرونه لنا، وإنما كان بطلاً يعمل لإنقاذ دماء آلاف المسلمين التي كان يسفكها أجدادهم المجرمون...

وربّما.. يفهم بعض الناس الأمور على غير مقاصدها.. كما في المثل المشهور (السيدات أولاً)...

هذه العبارة لها قصة عجيبة حدثت قديماً في إيطاليا..

يُقال إن شاباً من إحدى الأسر الغنية وقع في حبّ فتاة من أسرة أقلّ منه في المستوى المعيشي والطبقي الذي ينتمي إليه.. اتفق الاثنان على الزواج، ولكن الشاب لقي معارضةً شديدة من أسرته، والتي اضطرت لتهديده بعدم مباركة هذا الزواج . . . كبرت الضغوط على الشاب والفتاة، وخوفاً من أن يفترقا قرَّرا الانتحار.. فتوجَّها إلى تلّةٍ عالية جداً مطلّة على البحر، وعندما قرّرت الفتاة القفز أولاً.. منعها.. لأنه لا يستطيع أن يراها تموت أمامه.. وقرّر الشاب أن يقفز أولاً..

وبالفعل قفز وارتطم بعدة صـــخور قبل أن يلامس جســده ماء البحر ومات.. فما كان من الفتاة عندما رأت هذا المنظر المؤلم إلّا أن غيّرت رأيها وعدلت عن مرافقته إلى الموت.. فرجعت إلى البلدة وتزوّجت من شـــخص آخر من طبقتها.. وعندما علم أهل القرية بذلك قرّروا أن تكون النســـاء أوَّلَ من يقوم بـالأعمـال، وظهرت مقولـة Ladies First السيدات أولاً...

لا تهتم كثيراً لآرائهم (قبل أن تطابقها بالحقائق) فأكثرهم بعيد عن الحقيقة بسـبب جهله للعلم أو التاريخ.. تغيّرهم كلمة مقصـودة من رجل بارع في المناظرة، أو أغنية بموسـيقى حزينة أو حماسـية، فتجد نصف البلد قد غيّر موقفه من قضية كبيرة، بسبب عدّة أغانٍ تصبّ في نفس الهدف...

والناس تتبع بعضـها بعلم أو بغير علم.. كما يحدث عند التعليق على المنشـورات في مواقع التواصـل على الإنترنت.. يقوم شـخص بتحميل منشـور على الشـاشـة.. ومن بين التعليقات يكون هناك تعليق مميز، وخاصـة إن كان هذا التعليق عدائياً مهيناً يسـخر بأفكار صـاحب المنشـــور.. ثم يبدأ الجميع بتقليده.. فترى أنّ من بين كل مئة تعليق.. هناك خمسة وتسعون تعليقاً متشابهاً...

الأمر يشـبه ظاهرة عواء الذئاب، لأنها تقف صـامتة.. وما إن يبدأ أحدها بالعواء حتى يتابعه القطيع.. وبدون أي سبب...

بل إن الاهتمام المبالغ فيه بالمعلومات التي تسيطر على المجتمع يجعلك كثيرَ الخطأ، وتزداد خوفاً من أشياء جميلة، مثل السفر والكتب والمال.. فالسفر يسمّونه ضياعاً، والكتب يقولون عنها تصيبك بالجنون.. حب المال والثراء، يقولون لن تحصل عليه إلّا بالبخل والحرام.. احترام زوجتك ومساعدتها في غسل الصحون وأعمال المنزل، ستُصنّف على أنك ضعيف تسيطر عليه زوجته.. تعلُّم الدين وفقه العبادات والسير على طريق الصالحين، يخبرونك بصراحة، ستصبح معقداً.. وأخيراً، حين تتعب وتستمر مندفعاً نحو حلمك ويملؤك الأمل، يقول لك أحدهم: *لن تأخذ شيئاً معك، الكفن لا يحتوي على جيوب...*

وإن الاجتماع على الشرّ أسرع انتشاراً بين الناس وأشدّ استقراراً في قلوبهم..

كلّما استدار المدرس ليكتشفَ سبب الضوضاء، أشار الجميعُ إلى طالب واحد.. في اليوم التالي أحسّ المدرّسُ بورقة سقطت عند قدميه، وتعالت بعدها أصوات الطلاب بالضحك.. وكالعادة كانت الأصابع موجّهة لنفس الطالب وكأنهم تدرّبوا على الأمر مسبقاً.. تكررت كثير من الحالات الصبيانيّة داخل الصفّ.. وأحياناً كان يأتي المدرّس ليجد سلّة المهملات مقلوبة أو شخابيط على الحائط أو كتابة جملة استهزاء على السبورة..

وكذلك تكرّرت ظاهرة توجيه الاتهام والإشـــارة نحو طالب معيّن وبلا تردّد.. كـان المـدرّس يعرف هـذا الطـالـب جيـداً، إنّـه من الوافدين الجُدد إلى منطقتهم الصـــغيرة.. وتبيّن أنه من قوميّة أخرى.. نفد صـبر المدرس يوماً فقام بطرد الطالب خارج الصـف.. بعد خروج هذا الطالب عمّ الهدوء والصمت لتستمر المحاضرة بأجمل صورها.. خرج الطالب مهزوماً .. والمدرّس على يقين بأنه لم يكن ســـبباً لأيّ أذى حدث يوماً ...

ووجودك وســـطهم يجعلك تتبعهم بلا وعي منك.. هذا مقتطف من كتـاب ســـيكولوجيـة الجمـاهير وهو يتحدّث عن انخراط الفرد بلا إدراك داخل الجماهير المجرمة...

ويمكننا أن نســتشـــهدَ على ذلك بمثال نموذجيّ وهو قتل مدير سـجن الباسـتيل السـيد دولوني.. فبعد أن تمّ الاسـتيلاء على هذا السـجن راح المـدير يتلقّى الضـــربـات واللبطـات من كـل الجهـات من قبـل الجمـاهير.. وراح البعض يقترحون شـــنقـه والآخرون يقولون بقطع رأســه أو بربطه بذنب حصـان وسـحله في الشـارع.. ولمّا راح يتخبّط بين أيديهم لبط برجله أحد الحضـــور عن غير قصـــد، وعندئذ اقترح أحدهم أن يقوم هذا الرجل الذي أصابته اللبطة بقطع رأس المدير بيده..

يقول أحد الشهود راوياً القصة:

"وكان هذا الرجل طبّاخاً متجوّلاً ونصف متسكع، وقد ذهب إلى الباستيل لكي يرى ماذا يحصل هناك، ولما رأى أن الجميع متفقون على قيامه بهذه المهمة وأنه يؤدي عملاً وطنيّاً إذ ينجزها.. فإنه وافق على الفور، بل واعتقد بأنه يستحق ميدالية تكريمٍ عن طريق قتله لهذا الوحش.. وقد أعاروه سيفاً فضرب عنقه ولكن السيف لم يكن مشحوذاً جيداً فلم يفلح في ضربته، وعندئذ أخرج من جيبه سكيناً صغيراً بمقبض أسود كان يستخدمها في قطع اللحم كطبّاخ، وأكمل قطع رأسه بنجاح لحسن الحظ"...

نرى هنا مثالاً تطبيقيّاً حيّاً على الآلية التي شرحناها سابقاً، فيما يخص طريقة عمل الجماهير وردود فعلها.. فالقاتلُ يخضع بكلّ طاعة للتحريض لأنه صادر عن قوّة جماعيّة وجماهيرية.. وهو يشعر بأنه قد قام بعمل مجيد.. وطبّق قناعة طبيعية لأنه حظيَ بالاستحسان الإجماعي من قبل مواطنيه.. وعمل مشابه لهذا يمكن أن يوصف بالإجرامي من الناحية القانونية.. ولكن ليس من الناحية النفسية...

الحل.. أن تتســـلح بالعلم وتقرأ في كل المجالات، ولا تطلب نصيحة إلا من أصحاب العقول.. وتبحث عن الحقيقة وتتأكد منها ومن مصدرها جيداً.. تسلّح بالحقائق.. لأنّ الحقائق عنيدة، ويصعب التغلب عليها...

تســلّح بالعلم.. حتى لا تصــبح تحت حكم ونفوذ آراء وعادات وتقاليد اســتمر الناس عليها لأجيال، تنمو كل فترة وتزداد من خلال ما يعرض في التلفاز والمجلات ومواقع التواصل على الإنترنت...

الآراء كثيرةٌ تحيط بك من كل جانب.. لا مفرّ منها.. تزداد كلّ يوم وتُحدَّث أيضـــاً.. لن تســـتطيع بأي طريقة أن تتخلص منها، ولكن يمكنك التفريق بينها ومعرفة ما ينفعك وما يضـرك.. وهذا لا يكون إلّا بالحقائق، التي يصـعب الحصـول عليها لأنها تحتاج إلى جهود خاصّـة ومضنية، من خيرة العلماء والباحثين ليخلصوا إليها...

فهل نسـتسـلم لآراء المجتمع العامة ونتركها تأرجحنا كالموج، مرّةً إلى الأمام وأخرى تبعدنا عن الصواب لفترةٍ من الزمن،، أو للأبد؟

الأمر ليسَ بهذه الصعوبة ...

التقاليد هي العادات التي يفرضها الاموات على الاحياء

أفضل صديق ...

هل تناولت فطورك الصـــباحيّ اليوم ؟ هل كانت هناك قطعة لذيذة اشـتريتها بما يعادل أقلّ عملة في بلدك؟؟ كيف وصـلت إليك، هل كان صنعها صعباً ؟..

بالتأكيد الأمر صـعب.. استغرق صـنع هذه القطعة عدّة مراحل من البحث والتجارب واســتخراج الحليب.. ثم غليه وعملية البســترة وأخذ الزبدة التي تطفو فوق لأنّها الأهمّ، ثم التعليب.. وبالطبع الكثير من الآلات والبشـــر ثم النقل والتوزيع والدعاية.. لتصـــل إليك أخيراً بأسهل الطرق وأقل سعر وأنت جالس في مكانك...

إنّ عملية الحصول على المعلومات والحقائق تشبه هذه العملية وبنفس السـهولة من خلال الكتب.. التي هي بكلّ بسـاطة تمثّل عصـارة أدمغة العلماء وزبدة نتائجهم، وهدفهم الذي ســعوا إليه لأعوام طويلة.. يقدّمونه لنا بكلّ رحابة صـــدر وطيب خاطر، بعد تزيينه بكلام جميل وعبـارات مشـــوّقة، وكأنّ قراءتنا لكتبهم تعود عليهم بربحٍ يعادل ما سهروا لأجله.. إلا أنهم في الحقيقةِ يمثّلون ذلك الشخص المعطاء...

بعضُ الكتب اســـتغرقت ســـنيناً من التعب والجهد لإنهائها، وبعضـها تعدّى العشـر سـنين.. ثم تأتيك على شـكل فكرة وكتاب جميل تقرؤه وتحصل على خلاصة هذا التعب في ليلة واحدة...

الكتاب.. هو صـــندوق مليء بالمعلومات ومكافئة بلا مقابل.. ضعه في مكتبتك الكبيرة، فهو صديق عزيز وضيف كريم، لا تفرّط به ولا تعطِه لأحد (ولو استعارة).. فلا أحد سيقدرّه إلا ما ندر...

كان هناك صـديقان، أحدهما يحبّ الصـمت قليل الكلام، ينظر لصـــاحبه ولا يملّ الاســتماع إليه.. أما الثاني فكان يتكلّم بلا انقطاع، يحكي له القصص التي لم يسمع بها يوماً، ويُضحكه بالنكت والمواقف الطريفة، ويُفهمه العلوم المختلفة.. وينصـــح في كلّ المجالات وتقلّبات الحياة.. والأفضـــل من هذا أنّ له طريقة عجيبة في الكلام واختيار الألفاظ.. كان ينتقي لكل مجلسٍ مع صـــاحبه ما يناســـبه من الكلام والأحداث، وكل هذا إرضاء لصاحبه حتى لا يملّ من مجالسته.. فكان الأول ينظر إليه متعجّباً من غزارة علمه وتنوّع أسـاليبه، ممتنّاً له على صـحبته الجميلة.. ممتناً لنصـائحه التي أنقذته في عدّة مواقف، وكلماته المضحكة التي خفّفت من أوجاع الحياة ومعاناته معها..

أمّا الثاني.. فهو ممتنٌّ أيضـــاً لصـــاحبه لأنه وجدَ أخيراً من يسـتمع له،، في زماننا قليلٌ هم مَن تعجبه النصـيحة، وقليل من يعجبه هذا النوع من الأصـدقاء.. فكان يقدّم لصـاحبه أزكى ما يملك حتى لا يملّ منه.. كانا أفضل صديقين ...

لو كان لديك مثل هذا الصـديق، هل كنت سـتملّ من مجالسـته وتهجره ؟ هل كنت ستقاطعه وتزعجه ؟ إنّهما الكتاب وقارئه ...

إنَّ قيمة الشـــيء تُقاس بفائدته، وقيمة الكتاب تُقاس بما فيه من العلم.. فلم يطلب النبيُّ صلى الله عليه و سلم الزيادة في شيء إلّا العلم، فقال (رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا)...

وقال رجلٌ حكيم: العِلم شرفٌ لا قَدْرَ له، والأدب مالٌ لا خوفَ عليه...

وقال آخر: تعلَّمِ العلمَ.. فإنه يُقوّمك ويُسـدِّدك صـغيراً، ويقدِّمك ويسوّدك كبيراً...

ثم يـأتي علمـاءُ الحيـاة في مختلف مجـالاتهـا، وكلّهم قد جعل الكتاب جزءاً أساسياً في حياته.. فلا تجد رئيساً لدولة أو قائداً عسكريّاً، وباحثاً وكاتباً ولاعباً مشـــهوراً وفنـاناً ومثقّفاً، إلّا وتجد الكتاب، رفيق دربه الطويل...

جئنا لهذه الدنيا لا نعرف شيئاً، وقد تعلّمنا الكثير من الأشخاص الذين عشـنا معهم والتقينا بهم على مرّ السـنين، حتى وصـلنا لما نحن عليه اليوم.. فكيف لو تعلّمنا على يد الأفضـــل، وفي كل مجال.. هكذا هو الكتاب، إنه المعلّم الأفضـل.. كان الطالب قديماً يسـافر حول العالم لتلقي العلم.. أمّا اليوم فإن العلم والعلماء يســافرون إليه من كلّ العالم، وبسهولة لا تُصدّق.. من خلال الكتب...

قيل عنه قديماً، خيرُ جليس ...

لن أزعجك بعد الآن ...

لا حياة حقيقية بدون كتب، ومهما كان هدفك تحتاج إلى العلم ليســـهّل لك الوصـــول.. جرّب أن تقرأ كتاباً أو اثنين فقط عن المال، وسوف ترى تغيّر حياتك المادية للأفضل...

اقرأ في كلّ المجالات، وبذلك لن تحكم على ما هو غريب عنك بأنه كذب...

اقرأ لتتحرّر، اقرأ لتصـــبح حرّاً من أغلال الجهل واتّباع العادات، والســـير مع القطيع بلا طريق واضـــح أو هدف محدد، ترى غيرك يمشـــي فتتبعه.. لا أنت تدري ما الفائدة ولا صـــاحبك يعلم، كلٌّ يسير على خطى غيره...

وكما قيل: *"إذا كنت تعتقد أنّ التعليمَ مكلفٌ، فحاول أن تفكّر كم يكلّفك الجهل" ...*

يفعلُ الجاهلُ بنفسه

ما لا يفعلُه العدوّ بعدوّه

الماء والدماء ...

ذهبتُ إلى بيت أختي في مدينة ديالى.. وبعد العشـــاء أخبرتني عمّتها أنَّ قطع الأراضـي في منطقتهم هبط سـعرها إلى أدنى مسـتوى، ونصـــحتني بأن أشـــتري ولو واحدة لأنها ســـترتفع مع الوقت، وهي فرصـــة ثمينة لا تُعوّض.. كانت قد اشـــترت واحدة او اثنتان لأحد أقربائها.. بعد انتهاء الحرب كلّ شيء فوضويّ، وهي ضربةُ حظ لمن أراد أن يستثمر أمواله أو يزداد ثراءً بسرعة.. تحقّقتُ من حسابي في المصـرف وتبيّن أنه يكفي لشـراء اثني عشـر عقاراً في أماكن متفرقة، ولكني لم أشترِ أيّ واحد..

ربما كنت خائفاً أن أخسـر أموالي أو لأنها بعيدة عن بيتي وأنا غريـب عن هـذه المنطقـة.. بعـد فترة من الزمن، كـل قطعـة أرض تضـاعف سـعرها عشـر مرات، ويمكنك أن تتصـوّر حجم الأرباح في سنين قليلة..

في الحقيقة، إن الســـبب الذي منعني من القيام بهذه الخطوة المربحة هو نفس الســـبب الذي يجعلك تخســـر لمرات عديدة، ويجعل شخصـاً آخر يعيش أكثر مراحل عمره قريباً من خط الفقر، وآخر يربح الكثير ثم يفقدها كليّاً ليصحو يوماً ويجد نفسه قد عاد من حيث بدأ..

السـبب هو الجهل بأسـرار وقوانين المال.. نعم.. الأمر بهذه السهولة.. تعلّم عن المال وأسراره لتحصل عليه وتحتفظ به وتنمّيه.. لا تستغرب.. الأمر أسهل مما تظنّ، سوف أُبسّطها لك وأجعلها واضحة بثلاث خطوات..

الماضي، الحاضر، المستقبل...

☆☆ السرُّ الأوّل...

الماضي.. ويُعتبر الأهمّ من بين هذه الخطوات الثلاث...

يجب أن تحب المال.. دائماً ما نسمع أن المال يُجمع بالبخل أو الحرام ونسـمع أن المال يُفسـد عليك آخرتك ويجعلك تخسـر الجنة.. وتبرمجت عقولنا على الاكتفاء والقناعة.. لم يرشـدنا أحد وينصـحنا بحب المال، وأنه ضـروريٌّ جداً لحياة كريمة، مع أنه لا حياة بدون المال.. نسـمع دائما القناعة القناعة القناعة، ثم تجد ابنك يتلوّى أمامك يشكو من مرض ويحتاج لمبلغ بسيط من المال، وأنت تنظر إليه بقلب يقول، العين بصيرة واليد قصيرة...

الآن،، ماذا ستفعل القناعة مع هذا الطفلِ المريض...

يجب أن تحب المال.. قال الله سبحانه وتعالى: ((الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا))

ولو كان الفقرُ من الأمور الرائعة لما كانَ النبي صَلَّى الله عليه وسلّم يستجير منه خمس مرات في اليوم ويقول: اللهم إني أعوذُ بك من الكفرِ والفَقرِ.. فالغِنى والمال والثروة ليس أمراً مذموماً في الإسلام.. على العكس تماماً.. وكثيرٌ من الصحابة رضي الله عنهم كانوا أثرياء...

منهم عثمان بن عفان رضيَ الله عنه.. تُقدّر ثروته بثلاثين مليون درهم فضة، ومئة وخمسين ألف دينار، إضافةً إلى صدقاتٍ تُقدّر بقيمة مئتي ألف دينار.. وقد بُشّر بالجنة عدّة مرات.. ومنها أن عثمان اشترى بئر رومة بماله وجعلها وقفاً للمسلمين، وجهّز جيشَ العُسرةِ بماله في معركة تبوك لغزو الروم...

وكذلك سعد بن أبي وقاص رضيَ الله عنه.. تُقدّر ثروته بمئتين وخمسين ألف درهم، ومما يدلّ على ثروته رضي الله عنه أنه قال: عادني رسول الله ﷺ في حجّةِ الوداع، من وجع أشفيت منه على الموت.. فقلت: يا رسول الله،، بلغني ما ترى من الوجع.. وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة،، أفأتصدق بثُلثي مالي؟ قال: لا.. قلت: أفأتصدق بشطره؟ قال: لا... الثلث، والثلث كثير.. إنّك إن تذر ورثتكَ أغنياء، خيرٌ من أن تذرهم عالةً يتكفّفون الناس.. ولست تنفقُ نفقةً تبتغي بها وجه الله، إلا أُجرت بها،، حتى اللقمة تجعلها في فِي امرأتك...

والزّبير بن العوّام رضـــي الله عنه.. قد بلغت ثروته من قيمة العقار الذي ورَّثه خمســين مليون ومئتي ألف، حيث جاء في صــحيح البخاري أنَّ الزبير عندما قُتل كان له أرضـــان، إحداهما الغابة.. وكان قد اشــتراها بمئة وســبعين ألف، فباعها ابنه عبد الله بعد وفاته بمليون وســتمئة ألف.. وإحدى عشــرة داراً في المدينة، ودارين في البصــرة، وداراً في الكوفة، وداراً في مصر.. وكان للزبير أربع نسوة.. وبعد أن أوصـــى بالثلث لأولاد ابنه عبد الله.. حصـــلت كل امرأة على مليون ومئتي ألف...

وطلحة بن عبيد الله رضــي الله عنه.. تقدر ثروته بـــــمليونين ومئتي ألف درهم، ومن الذهب مئتي ألف دينـار.. وكـان دخلـه اليومي ألف درهم وزيادة.. وكان من ســـخائه أنّ رجلاً ســـأله أن يعطيه لما بينهما من صـلة الرحم، فأعطاه أرضـاً قيمتها ثلاثمئة ألف درهم، وقيل أكثر من ذلك.. وكان لا يدع أحداً من بني قرابته القريبة أو البعيدة إلا كفاه حاجته وقضـــى دَينَه.. وقيل إن ثروته أكثر من ذلك.. قُتل طلحة وفي يد خـازنـه مليون ومئتي ألف درهم.. وقوّمت أصـــولـه وعقـاره بثلاثمئة مليون درهم...

لا تستخفَّ بأمر المال وتقلّل من أهميته.. بدون المال يصيبك الفقر .. هل تعرف ماذا سيفعل بك الفقر ؟ .. الفقر يَحرِمُك من صحتك لأنّك ستخسرها إذا لم تملك المال.. يَحرِمُك من أولادك، لأنهم سيضيعون أثناء العمل لكسب لقمة العيش (المسماة باللقمة الحلال) مع أنها تأخذهم للحرام وتغمرهم فيه.. الفقر يَحرِمُك من زوجتك، لأنها ستهجرك إن لم تنفق عليها.. يَحرِمُك من شرفك، لأنك ستعمل ليل نهار ولا تدري من يغتنم فرصة غيابك، ويغتنم شعور النقص في بيتك.. يَحرِمُك من كرامتك، لأنك بدونه تصبح عاملاً وخادماً لدى الناس.. الفقر يَحرِمُك حتى من أمك وأبيك، لأن الغنيَّ سيذهب بماله ويشتري لوالديه كليتين وكبد وقلب وشرايين وألعاب أخرى، فتستمرّ حياتهم.. أمّا الفقير سيفقد والديه المسنّين ويراهم يتعذبون يومياً على أسرّة وردهات المستشفيات.. بدون المال ستفقد كل هذه الأشياء واحدةً تلو الأخرى...

وحتى إن كنت جَلِداً قوياً صبوراً تتحمّل الصعاب، فمع الوقت ستتعب روحك وجسدك.. بهذه الحياة الصعبة والعمل المستمر وخدمة الجميع بدون كرامة أو احترام.. والجهد المُضني والتعب المستمر لهذا الجسد الهزيل،، كل هذه الأمور ستنهكه وتتعبه وتقتله، وتقتل كل فرحة ورباطة جأش وقوة إرادة.. ومعها ستفقد كل ما تفتخر به...

المال زينةُ حياتك وروعتها.. جرّب أن تشـــمَّ رزمة المئة دولار.. وستشعر بالشبع.. الصق هذه الرزمة على أي مفصل يؤلمك وسترى كيف يزول الألم، المسألة حالة نفسية، وأنا أخبرك أنها حالة نفسية.. فكلّ قطعةٍ من جلدك وكلّ عظم وكل عصب وشريان وعضو في جسدك يحبّ المال.. وينطبق سحر المال وهيبته وتقبّله في نفوس الآخرين، مع الجمال أو القوة.. فإما أن تكون غنيّاً أو جميلاً أو قويّاً، ليتقبّلك الجميع.. وينظرون إليك بزهو وتعجّب واندهاش، مهما كانت حالك وتصرفاتك.. فإذا امتلكت اثنتين فهذا أفضل لك، أما ثلاثة فأنت ملك زمانك...

المالُ هو قيمتك الحقيقيّة.. المال كالمكواة، يكوي وجهَك فتختفي منه التجاعيدُ.. ويكوي ظهرَك فيعتدلُ ويصبح مستقيماً.. ويكوي يدك فتصبح ناعمةً.. وهذا ما نشاهده يوميّاً.. على عكس وجه وظهر ويد الفقير...

المال ! وأنت على حالك وطبعك السيء هذا، سيجعلك صادقاً وشريفاً.. وشجاعاً وقويّاً ورجلاً.. وناصحاً ومتصدّقاً ومخلصاً.. وكريماً وطيّباً ولطيفاً.. وأفضل أب وزوج وأخ وصديق.. أنت الأفضل بالمال، وكلما زادت أموالك كلما زادت قيمتك وزاد فضلك وتفضّلك على الناس، حتى إن لم تعطهم منه شيئاً.. والأغنياء دوماً هم اللطفاء...

لن أزعجك بعد الآن ...

إن كنتَ غنيّاً يحبك الجميع، عندما تضحك يضحكون معك، تتكلّم يصدقونك، تتشاجر يقولون الحق معك.. لا يشعر بالمال إلا من امتلكه، أمّا المحروم منه فيقول: المال لا يشتري السعادة (اللي ما يلوح العنب يقول عنه حامض) لا أدري كيف تكون السعادة بلا مال، فحتى مسيلمة الكذّاب لم ينطق بمثل هذا القول . . . بدون المال لن تفرحَ بطفولتك ولا شبابك ولا زواجك ولا هرمك.. ولن ترتاح حتى بموتك.. وستموت ميتةً شنيعة إن بقيت تلهو وتلهو حتى ضيّعت فرصتك وثروتك...

من يشوّه صورة المال بأنه يُجمع بالبخل والحرام وينصحنا بالابتعاد عنه والاكتفاء بالقليل فقط.. فلنسأله عدّة أسئلة، هل يستطيع أن يتجوّل في محل ملابس أو فواكه ويشتري كل ما تشتهي نفسه دون أن يسأل عن السعر ؟ هل يذهب لعيادة الاسنان هو وعائلته كل ستة أشهر لفحص أسنانه ؟ هل يذهب يعالج عائلته التي يحبها كلّما اشتد بهم الوجع، أم يقف يائساً يندب حظه ؟ ...

هل يستطيع على الأقل أن يطلبَ ما يتلذّذ به في المطعم دون أن ينظر إلى الجهة اليسرى لقائمة الطعام (الحقل الخاص بأسعار المأكولات) ؟ بالتأكيد، الجواب هو لا..

من يرد المال، عليه أن يحبّ المال...

اسأل نفسك، هل حصلت يوماً على شيءٍ لا تحبه ؟ هل أتعبت نفسك يوماً لتحصلَ على شيء تكرهه ؟ بينما كلٌّ منا جرّب يوماً أنه سعى للحصول على شيءٍ يحبّه ويرغب به بشدة مهما كان صعباً،، وفي النهاية حصل عليه وربما أكثر مما تمنّى...

قبل عشرين عاماً تقريباً، شاهدتُ في التلفاز مراسلةً تسأل عاملاً يبيع الزهور، عن نوع خاصّ من الزهور المستوردة، سألَته عن كيفيّة المحافظة عليها وعلى نموّها لوقتٍ طويل دون أن تذبل.. كان جوابه ضرباً من الخيال في ظاهره.. قال:

- إني أحبّها وأتكلّم معها !
- هل تفعل هذا حقّاً؟
- نعم، بل حتى أُغَنّي لها، إن هذه الزهرة تحبّ الغناء..

الحقيقة واضحة تماماً.. إن من يغني للزهور ويتكلّم معها لا شكّ أنه أحبها، ومن يحبّها يرويها بالماء، وينعشها بالسماد، ويأخذها لأشعة الشمس متى تحتاج لذلك، ويبعد عنها الأعشاب الضارة حتى تتعافى.. هذا هو المغزى من جوابه وليس الحب المتعارف عليه.. وكذلك من يُرد المال عليه أن يحبّه، ويستشعر أهميته ويحافظ عليه، ليس كلاماً فقط...

لن أزعجك بعد الآن ...

في صـــالون الحلاقة كنت أعمل إلى الثانية بعد منتصـف الليل وأذهب إلى دراستي صباحاً، وفي المحاضرة الأخيرة أصل إلى أقصى حالات النعاس، وكنت أغفو أحياناً والأســتاذ يشــرح، أعود إلى البيت لتناول الغداء وأخذ قيلولة، ثم لصـــالون الحلاقة ثانيةً.. أعمل لســـاعات متأخرة، تتألّم قدمي حتى أشعر أنها ستُكسر، وفي أيام العيد كنت أضع لصقة الظهر أثناء العمل (اللصقة العلاجية، التي تحتوي على المنتول، الكافور، الفلفل الحار، وتُستخدم لتخفيف آلام الظهر) كنت أتحمّل أكثر من طاقتي ولا أهتمّ لأن لي هدفاً هو بيت وســـيارة وزواج.. وما إن وصلتُ إلى هدفي حتى تركت الحلاقة وفكّرت بالراحة...

إنها البرمجة على الاكتفاء، البرمجة التي تُبقيك على نفس الخط، كلما ارتفعت قليلاً تسحبك لمستوى الاكتفاء والقناعة من جديد.. تُبقيك في وضع الحاجة إلى المال اللازم للعلاج، الحاجة لشراء أشياء كثيرة.. الحاجة لتأمين مستقبلك ومستقبل أطفالك..

تُطَمئن نفســك أنك في وضــع الاكتفاء، ولكنّك لن تصــل إلى الاكتفاء أبداً ما حييت، وستبقى فقيراً للأبد...

الآن.. عليك أن تُعيد برمجة عقلك.. بدل الاكتفاء عليك أن تحب المال، لأنك بحاجة إليه في كلّ لحظة من حياتك، ولمســـتقبلك ومستقبل أولادك.. معك أو بدونك...

لو احتجت لكيسٍ من الدماء لعملية جراحية، ستجد أكثرَ من شخص يتبرّع لك بالدماء.. ولو طلبت ماءً وأنت في صحراء، ولا يملك رفاقك إلا القليل منه، فلن يبخلوا عليك برشفة أو أكثر.. أمّا المال، لو طلبتَ القليل ممّن يملك الكثير، فلن يعطيك.. ولن يسمح لك حتى برؤيته.. هذا هو المال.. أغلى من الماء وأغلى من الدّماء...

السِّرُّ الأوّلُ.. أن تُحبَّ المال...

☆☆ السِّرُّ الثّاني ..

الحَاضِرُ .. هو التحكُّمُ بِالمالِ..

لا بُدّ أنّك سمعتَ يوماً بصديق نجحت تجارته وجمع مبلغاً ضخماً من المال، عاش بسعادة لفترةٍ من الزمن ثم خسره بعد ذلك . . . وآخر ورث ثروةً طائلة فلم يُحسن التصرّف بها، بل أخذ يبعثرها ويلهو بها.. تجمّع عنده أصحاب الرخاء وكثرت سهراتهم وكثرَ البذخ والإسراف والتبذير، وهم يأكلون ويضحكون ويمدحونه.. وبعد مدّة أدبرت دنياه ونفد جميع ما عنده، وأصبح لا يملك قوتَ يومَه.. وآخر تعب وجمعَ المال ثم أخذ ينفقُ ويُسافر ويتمتّع ويقول: ما فائدة المال إذا لم يخدمني.. اشترى سيارة جميلة ثم تحفاً ولوحات وأثاثاً باهظ الثمن، ثم الكثير من السفر.. حتى عاد إلى ما كان عليه قبل هطول المال عليه بغزارة..

كلّ ذلك لأنه لا يعرف قيمة المال، ولا يعرف كيف يتحكّم به.. لو كانت عندك خادمة واشتريت لها غسّالة أطباق الطعام، خطوة طيبة منك لتساعدها في أمور المنزل، هذه الآلة كان ستريحها وتخفّف عنها الكثير من العمل.. بعد أيام وبسبب الإهمال تعطّلت.. الآن ما دورك، هل ستشتري لها أخرى ؟

كلّا لن تشتري.. ستقول في نفسك إنها لا تُقدّر أهميتها ولا فائدتها، وبكلّ بساطة ستتركها تعود لتغسل الأطباق بيدها . . . الأمر مشابه للمال، إذا لم تقدّر أهميته وتتحكّم به بطريقة تضمن لك استمراره، سوف تخسره كلياً...

إليك طريقة سهلة وبسيطة لتتحكّم بالمال...

كل ما يدخل إلى بيتك من مال، استخرج منه عشرة بالمئة فقط واحتفظ به بشدّة.. لا تستخدمه أبداً إلّا بشرطين...

الشرطُ الأوّل .. بعد الستين من العمر، ليضمن لك خدمات آخر العمر..

الشرط الثاني .. استخدمه للاستثمار وللتنمية فقط، في تجارة أو عقار.. أما السيّارة والأثاث ومصاريف الدراسة وغيرها، فلا تُعتبر من الاستثمار . . . أيّ نقود تحصل عليها ومهما كانت قيمتها، أخرج 10% منها واحتفظ بها...

إنّ الأصـلَ هو فنّ التحكّم بالمال وليس المال نفسـه، لأنَّ المال ينقص ويزداد طول العمر.. المال في حياتنا كالمدِّ والجزر..

هكذا هي الأمور المالية للشــخص . . . كبار الســنّ والأثرياء يعلمون جيّداً إن الأصل هو التحكّم بالمال...

لقد جرّبت هذا الحلّ البســـيط بنفســـي، وبعد فترة ذهبت إلى المكان الذي أحتفظ به بهذه النسبة القليلة (10%) فوجدت أنّ القليلَ قد تراكم وأصبح كثيراً.. أكثر مما توقّعت بأضعاف . . . نظرتُ إلى هذه النسبة الضئيلة أين وصلت بعد فترة قصيرة من الزمن، غير مُصَدّق لنتائجها المبهرة.. أدقّق المبلغ وأستخرج ناتج ضربه في عشرة !..

لا أتذكّر أني كنت أمتلك هذا المقدار من المال، ولا أين أنفقته؟ ولا أتذكّر كيف حصلت عليه ؟.. بهذه الطريقة سوف تربح مالاً تتفاجأ بكميّته بعد فترة، بجانب أنّك تعلّمت كيف تتحكّم بالمال بسهولة...

أحضر رجل وولده الصغير سريراً معدنيّاً ووضعه على الرصيف، ووضع عليه قطعة من القماش، ثم بدأ يخرج بعض الأغراض من علبة الكارتون ويرتّبها على السرير.. أما ابنه فكان يقف خجولاً ينظر إلى المارة، لأنّها المرة الأولى التي يعمل في السوق.. أخرج الأب مطرقة وبعضاً من أدوات العمل وكفوفاً ومجموعة من العددِ اليدوية، التي تُستعمل في البناء والتصليح ثم جلس ينتظر.. بعد فترة قصيرة جاء رجل واشترى علبة مسامير صغيرة، ثم جاء آخر واشترى مفكّ براغي، ثم ثالث ورابع..

بدأت الابتسامة تسري في وجه الرجل، وأخذ يحدّث نفسه: لقد نجحت الفكرة، إذا استمرّ العمل على هذا الحال، فلن أحمل همّاً لرزق عائلتي . . . مرّت الأيّام واستمرّ العمل بأحسن حال، أمّا ابنه الخجول فقد أصبح بارعاً في التعامل مع الناس، كان أبوه يتركه ويذهب لإحضار الأغراض من التجّار.. بدأت أغراضه تزداد واحتاج إلى مكان أكبر يعرض بضاعته، وبالقرب منه استأجر أحد المحلات الصغيرة.. كان فرحاً بنتائج عمله الذي بدأ يتوسّع، وفرح أيضاً بالمكان الجديد الذي يحميه وابنه من أشعّة الشمس والبرد والمطر.. ويحافظ على أغراضه من التلف . . . مرّت أشهر ثم سنة والمشروع الصغير في أفضل ما يكون.. ثم استأجر محلاً آخر بجانبه وأحضر أغراضاً جديدة، لأنه الآن، امتلك سعرها ومكان تخزينها.. وكذلك أحضر ابنه الثاني ليساعدهم في العمل..

استمرَّ حلمه الصغير بالتوسّع، مرّت بضع سنوات واستأجرَ محلاً آخر وآخر.. في النهاية، اكتمل مشروعه بخمسة محلات ضخمة للعدد اليدويّة،، وأصبح اسمه بارزاً في هذا المجال.. كان الرجل ناجحاً وبخطّة توسعة متقنة وأرباح مفرحة...

حتى عام 2014 حين دخل تنظيم داعش إلى مدينتهم وتوقّفت الحياة عن العمل.. فقام الرجل بإغلاق المحلات بإحكام مع مضـــاعفة عددِ الأقفال.. وبينما هو في البيت مع عائلته جاءه اتّصــال من صـديق يخبره أنّ محلاته قد احترقت كلها بســـبب نيران معارك الكر والفر.. مسـكين.. خسـر كلّ ثروته بلحظة واحدة.. لقد عاد إلى الصـفر تماماً، وربما تحت مستوى الصفر بسبب الديون التي عليه عند تجار الجملة..

تخيّل لو أنّ هذا الشخص كان قد ادّخر نسبةَ العشرة بالمئة.. لأصبحت الآن مبلغاً ضـــخماً ينفعه في هذه الشـــدة، أو ليصـــنع منها طريقاً آخر يسلكه.. ولَمَا كانت هذه الفاجعة ستصدمه وتؤثّر فيه بنفس الطريقة...

في المرات الأولى التي كنّا نذهب أنا وأخوتي للعمل في السوق مع أبي، كان يأخذ جزءاً من أغراضه التي يبيعها لنذهب بها إلى مسافة ٣٠٠ متر عنه.. نرتّبها على لوح من الخشـــب بحجم مائدة الطعام، ونرفعه عن الأرض نصـــف متر بعلب معدنية.. كنا نعمل ونلعب ونتشـاجر أيضـاً مع بعض الأولاد هناك، وفي بعض الأيام كنّا نعود له بالمال فيعدّه،، ليجد أنّنا خسرنا الكثير..

ولأنّنا صغار، بعض الأغراض كانت تتكسر بسبب الشجار أو اللامبالاة، وأحياناً كنا نُسـرَق بسـببِ اللعب، كان يقول دائماً: لا بأس، غداً سوف تعوّضـون الخسـارة.. كنتُ أظنُّ في ذلك الوقت ولسـنوات، أنّ أبي يريد أن يشـــغلنا بالعمل ليبعدنا عن اللعب بالشـــارع وعن المشاكل.. ولكن بعد أن كبرت، أيقنت انه أراد أن يوضّح لنا أنَّ الأصل هو العمل وليس المال . . .

لأنّ الاستمرار بالعمل متعبٌ ومضـجر، أمّا المال فسوف يأتي بديهياً.. نحن نرى الكثير من الناس يُتعب نفسَه بالبحث عن العمل، وما إن يجده ويعمل فرحاً، ثم تمرّ الأيام والأيّام حتى يسـيطر عليه الملل.. وتظهر عليه ملامح العبوس وكره العمل.. والضـــجر من أيّ طلب يُوجّه له، ثم يتركه حتى لو كان الأجر عالياً.. كلّ هذا بســـبب غياب فكرة أن الأصـــل هو العمل والاســـتمرار عليه.. وجعله من العادات اليومية . . .

كل الكتب المتعلقة بالمال وأســراره.. وأفضــلُها كتاب "أغنى رجل في بابل" كلّها تخبرك أن تدّخر مقدار عشـرة بالمئة.. لأنك إذا لم تتحكّم بالقليل، فلن تحصد الكثير...

السِّرُّ الثاني.. أن تتحكَّمَ بِالمالِ...

☆☆ السِّرُّ الثَّالثُ ..

يتعلَّقُ بِالمستقبل.. ويُسمَّى (الدخل السلبيّ)

وهو أن يأتيك المالُ بدون تعبٍ مباشـر، وإنما هو حصـاد تعب سنين سابقة من خبرتك، وخطواتك المتضمّنة للصبر والتحكم..

الدخل الســلبي؛ هو كلّ ما يعود عليك بفائدةٍ كبيرة بدون تدخّلٍ مباشـــر منك، أو جهد وتعب.. مثل العقار، أو أرباح الأســـهم في الشـركات والمصـارف، أو حقوق التأليف، أو افتتاح سـلسـلة مشـاريع صـغيرة يديرها غيرك نيابةً عنك.. وهو شيء معروف لدى كبار السنّ والأثرياء، والشـباب الذين يحبّون المال، والنسـاء أيضـاً.. حتى إنك لو سـألت صـبياً صـغيراً عنده مال كثير، ماذا سـيفعل به.. لأجابك بهذا السرّ...

السؤال هنا.. إذا كان الجميع يعرفه فلماذا لا يصبحون أغنياء؟

لأنـه يُعتبر مثل قطف الثمـار بـالضـــبط، إذا لم تحبَّ الزرع وتزرع، فلن تقطف..

والآن.. أقول لك، إذا لم تطبّق السّـــرَّ الأوَّل، وهو أن تبرمج عقلك على حب المال..

والسّرَّ الثاني، أن تتحكَّمَ بِالمال..

فلن تحصلَ على السرِّ الثالث الذي يُعتبر مكافأة..

☆☆☆☆

اليوم، لو نظرتَ إلى جيرانـك أو زملائـك في العمـل.. ولو ذهبتَ إلى الســوق ودقّقت النظر جيّداً، ســترى الفرق واضــحاً وبكل بسـاطة.. ترى الفقير قد وصـل إلى العقد السـادس من عمره ولا يزال يعمل بيديـه، تجد البنّـاء والخبّـاز والخيّـاط والكهربـائيّ وأصـــحـاب المحلات على تنوّعها، يعملون بأيديهم منهكين من التعب والصـــبر.. ويستنفدون آخر ما تبقّى لهم من الصحة والقوّة، مُجبرين ليحصلوا على لقمة العيش...

بينما تجد الأغنياء قد وصلوا إلى مرحلة المراقبة فقط، مراقبة المال.. تعب في بداية عمره ثم جاء الوقت ليحصلوا على مكافأة آخر العمر.. أحدهم أصبح مقاولاً بنّاءً يعطي الأوامر ثم يشغل سيارته الفارهة وينطلق.. وشاب امتلك سلسلة مطاعم يديرها نصف ساعة في اليوم.. ليراقب عمل المحاسب والنظافة وجودة الطعام.. وامرأة لديها معمل خياطة، ورجل يدير سوبر ماركت ضخماً، يأتيه ليلاً ليعرف حجم المبيعات...

ربما تقول في نفسك، إذا لم يكن لديّ مال فما فائدة تعلّم التحكّم بالمال، أو الدخل السلبي...

أقول لك إنّ الأمر متعلّق بالاستعداد.. عليك أن تحبّ المال، ثم تتعلّم كيف تتحكّم به، لتعرفَ ماذا ستفعل حين يأتي إليك...

وكما أخبرتك، إنَّ حياتنا المالية كالمدّ والجزر، أو كالسنبلة في مهبّ الريح، تنحني ثم تعود لتقف منتصبةً.. عليك أن تكون مستعدّاً للمال حين يأتيك، فإذا كنت لا تعرف شيئاً عن أسرار المال.. فلن تعرف ماذا ستفعل به حين يأتيك.. وستفقده بسرعة لا تُصدّق...

الاستعداد هو طريقُ الناجحين على تنوّعهم.. تجد الطالب الذي تخرّج في كلّيّته يستمر بتطوير اختصاصه ومراجعة ما تعلّمه، حتى إذا جاء وقتُ التقديم للوظيفة يكون مستعدّاً للأسئلة.. وأهلاً للقبول...

كذلك أصحاب الأموال، يهيئ المال وينتظر الفرصة لعقار على موقع تجاري، أو عقار لشخص اضطرَّ للسفر مستعجلاً، عندها سيظهر صاحبُ الأموال وكأنه جني المصباح، يغتنم الفرصة ليكسب ما كانَ مُستعدّاً لأجله..

العقارُ أفضلُ ما تستثمر به أموالك.. هذه المولات والمطاعم الشهيرة والمجمّعات التجارية، يعتمد ربحُها الحقيقي على الأرض والعقار الذي تنشئ عليه تجارتها، وعلى موقعه...

ويمكنك وأنت جالس الآن أن تتخيّل مواقع العقار الذي تمتلكه الماركات العالمية التي تعرفها، وتتسوّق منها، أو تتناول وجبات طعامك هناك، تخيّل موقع هذا الفرع وتكلفة شرائه، والفرع الثاني والثالث والرابع.. ستجد كلّ هذه الفروع في أرقى الأماكن، وتجد أنَّ أسعار هذه العقارات لا يمكن للعقول استيعابها.. أغلب أصحاب هذه الماركات حتى لو خسروا وأغلقوا عملهم، سيربحون ببيع العقار أو الاحتفاظ به، ليكونوا من أصحاب الثروات...

العقار أفضلُ للاستثمار.. اشترِ زريبة حمير.. وبعد فترة سيأتيك مستثمر يعطيك أضعاف قيمتها، ليبني بدلها ناطحة سحاب...

وهذا هو السِّرُّ الثّالثُ.. انه الدخلُ السّلبيّ...

فأنت إمَّا أن تُولد ثرياً.. أو تعرف كيف تُصبح ثرياً، وتقفز للفرص عندما تأتيك.. وبدون تردّد ولا خوف.. أو أنّك ستبقى فقيراً للأبد...

واحذر الديون واهرب منها.. إنها مخزية وتجعلك لا تهنأ بعيشةٍ أبداً.. وتمشي مطأطأً رأسك وتخاف أن تقابل مَن يطلبك.. كأنك صعلوك سارق بائس...

الديون يصعب تسديدُها، عندما تمسك المال بيدك فمن الصعب إفلاته، ستقول في نفسك سأطلبُ من صديقي بعضَ المال، وأنفق وأتمتع، وحين يأتي المال سأرجعُ ما بذمّتي.. وحين تُمسك النقود مجدداً تقول: سأدّخر بعضها، وأنفق بعضها، وأشتري بعض الأثاث الذي أحتاجه،، وأردّ له ماله عندما أقبض في المرة القادمة.. وما إن تملك المال مجدّداً ستظهر لك متطلبات جديدة.. وحين تقبض المال مرّةً أخرى ستتمسّك به، ولن تفلته أبداً.. وهكذا أنت في زوبعة سحر المال، ومتعة الإنفاق...

الحلُّ الأفضل لتتحكّم بسداد هذه الديون.. أن تقسّم دخلَك الشهريّ كما يلي...

أنفق ٧٠% لكلِّ متطلباتِ حياتك.. وتكيّف على هذا الحال...

أفرد ٢٠% لقضاءِ ديونك...

و ١٠% للادّخار...

بعد تكرار هذه العملية كلّ شـهر سـتنخفضُ ديونك،، وتنخفض وتنخفض حتى تتلاشى كليّاً...

إنَّ ســـببَ هذه الديون أنك تنفقُ أكثرَ ممّا تدخر، وأكثرَ مما تملك...

تعلّم قاعدة الإنفاق عشرة بالمئة وتمسّك بها، لا تشترِ شيئاً إذا لم تكن تملك عشرة أضعافه.. لا تشترِ أثاثاً لمنزلك ب ٥٠٠ إذا لم تكن تملك ٥٠٠٠ .. ولا تأخذ عائلتك لســـفر يكلّفك ١٠٠٠ إذا لم تملك ١٠٠٠٠ وهكذا.. لا تنفق مبلغاً وأنت لا تملك عشرة أضعافه...

لأنّه طريق ســـيء، آخره مســـتنقع الديون.. وكما أمرنا الله سبحانه وتعالى ((ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسورا)).. تنفق وتنفق وتأكل ما لذَّ وطاب، وتشـــتري ملابس كثيرة، وأشـــياء تحبّها، وتسافر مع الأهل والأصدقاء.. حتى يأتيك يوم.. تتحسَّر فيه على كيلو فاكهة، أو لتر من الحليب...

ولا تنسَ الكتمان.. لا تخبر أحداً عن رزقك، وما تملك، وكم لديك.. ولا تســـأل عن ذلك.. فإنَّ النبيَّ صـــلَّى الله عليه وســـلَّم قال: استعينوا على قضاءِ حوائجِكم بالكِتمانِ، فإنَّ كل ذيِ نعمةٍ محسودٌ...

"منذ أربعين سنة، عندما كنتُ في الخامسة عشر من عمري.. عثرت في الطريق على ورقة مالية فئة العشـــرة روبيلات.. ومنذ ذلك اليوم لم أرفع وجهي عنِ الأرض أبداً.. وأسـتطيع أن أحصـي حصـيلةَ حياتي، وأن أسجّلها كما يفعل أصحابُ الملايين!!.. فأحسبها هكذا:

٢٩١٧ زراراً – ٢٤٤١٧٢ دبوسـاً – ١٢ سـن ريشـة – ٣ أقلام – ١ منديل – ظهر منحن وحياة بائسة!!..

ولا غرابـةَ في ذلـك!! فـالاعتمـاد على الحظّ وحـده، وانتظـار ضـربة من ضـرباته، لا يورث الإنسـان إلا هذا الميراث العادل.. ظهراً منحنياً، وحياة بائسة" ... قصّة قصيرة لكاتبٍ روسيّ..

كل عشر سنين عليك الاستعداد
لفرصة جديدة ..

استعد ..

الفرصة التالية قريبة ..

إنها على الأبواب

الملل ...

اســـمُه الحقيقيّ هو العمل وليس الملل.. ولكنها كنايةٌ له.. ولا نقول دلعاً.. فهو مُتعب ومضــجر، ويلازمنا مدى الحياة، وتصــيبنا منه جروحٌ وأذى نفســي وجســدي... تكرهه.. ولا مفرَّ منه.. ولكي تحبّه،، عليك أن تحبَّ من تعمل معهم.. كن عوناً لهم، وابحث لهم عن الخير، واسْعَ لإيصالِ الخير لهم.. وإلا ستكون مثل هذا المسؤول..

حدّثني أبي عن زميلٍ له في العمل في شركة مصافي الوسط (مصفى الدورة).. كان هذا الرجلُ مريضاً ويحتاجُ بعض المال لعملية جراحية سيجريها بعد أيام قليلة، لذلك ذهب إلى المدير العام يسأله أن يصرفَ له مبلغاً من المال يكفيه لإجراءِ هذه العملية ووضَّح له حالته المادية، وافق المدير على طلبه وأعطى الأمر لمساعده لصرف المبلغ.. شعرَ الرجل بالرضى لتأمين المبلغ.. ولكنه صُدم بتدخّل المساعد.. عندما همس للمدير بكلمات تملؤها الغيرة والحسد..

- حسناً .. ولكن لمَ العجلة، ليذهب ويُجري العملية وعندما يعود سندفع له..
- نعم .. كلامك صحيح.. استدار المدير إلى الرجل وأكمل قائلاً..
- سندفع لك لاحقاً، نتمنى لك الشفاء العاجل، إلى اللقاء..

- يمكنك أن تتخيّل ملامح الرجل بعد ضياع فرصته في الحصول على مساعدة، ضاع أمله بسبب مسؤول لا يحبّ الخير لغيره...

☆☆☆☆

سيأتي يوم وتصبح مسؤولاً عن بعض الأشخاص في العمل، عليك أن تستخدم الحكمة معهم.. وتبحث عن الخير فيهم، وتتصيّد نجاحهم وتكافئهم عليه.. أما لو أخطأ نفرٌ منهم فيجب عليك أن تميز سبب ارتكابهم هذه الأخطاء، إن كانت عن قصد أو أنها بسبب الفروق الفردية.. لاحظت يوماً في العمل أن هناك ثلاثةَ أشخاص مختلفين عن البقية وغريبي الأطوار.. وبعد فترةٍ من الزمن ومع مرور الأيام عرفت حالهم وسمعت عن ظروفهم.. فكلّ واحد منهم لديه إمكانية تفكير محدودة، ويعاني من طفولة بائسة وقسوة تؤثر على أفعاله وتصرفاته.. الأول، كان والده يقضي فترةً طويلة في السجن، وهو المعيل الوحيد للعائلة.. والآخر يتيم، توفي والده منذ صغره.. ونشأ الثالث مع أب نرجسيّ ظالم متحمّلاً أنواع الضرب والإهانة والذل المستمر.. فإذا كنتَ مسؤولاً عن أشخاص مثل هؤلاء، عليك أن ترأف بهم، اجعل نفسك مكانهم، احمد الله أنَّ لديك ما فقدوه، استخدم نعمتك لتعطف عليهم لا أن تستصغرهم.. تعاون معهم.. لن يمرّ العمل بدون تعاون...

حسـناً ! ماذا سـيحدث إن لم تتعاونوا كفريق،، سـيُلحقون بك الأذى أكثر مما تستطيع أذيتهم.. عندما كنتُ في مدينة السليمانية منطقة تانجرو، كنتُ مسـؤولاً عن أربعة أشـخاص في معمل صـغير بين الجبال.. أتذكّر يوماً أني أسأت معاملة أحد العمال، ومرّت الأيام والأيام وطُويت صـفحة المشـكلة من مخيلتي.. أمّا صـاحبي فيبدو أنه لم ينسَ، ليردَّ لي الدين على أكمل وجه، كان يعمل يوماً على تصـليح مولد الكهرباء الرئيسـي للمعمل، فاقترحتُ أن أسـاعده ووافق على الفور.. بدأنا العمل سـوية، هو يخبرني وأنا أنفّذ لأن خبرتي في المولد ضـئيلة جداً، حتى وصـلت إلى جزء يُسـمى الدوّار يعمل على تصـفية الزيت وفيه صـامولة من الأعلى، أخذت المفك الخاص بها وبدأت الشـد، وأنا أسأله هل هذا يكفي؟ ويخبرني عليك بالشد أكثر.. ثم سألته مرة أخرى وقال أكثر، حتى كُسرَت في يدي.. الآن،، لن يتم تشـغيل المعمل بدون الكهرباء، أنا السـبب لتوقّف العمل لعدة لسـاعات، إنه إحراج كبير بالنسبة لي، لأن مالك المعمل لن يُحاسب العامل ولن يكلّمه أصلاً، فأنا المسـؤول عن العمال وأنا المسـؤول عن العطل في المولد.. أخذت الدوّار وذهبت إلى الحي الصـناعي، وبعد سـاعتين تقريباً عدت بعد أن أصـلحتها لنستأنف تشـغيل المعمل.. لقد حصـل العامل على انتقام جيد ووضعني في إحراج كبير...

ففي المرة القادمة لا تُغضـب العامل لأنه سـيكسـر شـيئاً تافهاً يوقف مشـروعاً ضـخماً.. يؤدي إلى إغضـاب رئيسـك في العمل..

ويضـــعك في موقفٍ لا تُحســـد عليه.. ولن يُحاســـب أحد غيرك فأنت المسؤول...

وإن كنتَ أشـــد ذكاءً، عليك بالتعاون وتبادل الأفكار، لأنَّ التعاونَ أفضـــلُ من التنافس.. لو كان لديك تفاحة ولدي تفاحة مثلها، وتبادلناهما فيما بيننا، فســـيبقى لدى كلٍّ منَّا تفاحة واحدة.. أمَّا لو كانت لديك فكرة ولديّ فكرة وتبادلنا هذه الأفكار، فعندها كلٌّ منا ستكون لديه فكرتان...

وحتى لو كان بهم عيب بســـيط، يمكنك اســـتغلاله لصـــالحك، قرأت يوماً اقتباساً لمدير شركة يقول فيه: الأشخاص الكسالى مهمّون، وأنا سأختار دائماً شخصاً كسولاً للقيام بأمرٍ صعب، لأنه سيجد طريقة سهلة لإنجازه...

في العمل سوف تصبحُ مسؤولاً عن مجموعة من العمال، إذا كنت تريدهم أن ينضـــبطوا، وتســـير أمور العمل على ما يرام، عليك بثلاث خطوات...

☆☆ ابتعد عنهم قليلاً ولا تشاركهم في كلّ شيء.. لا تشاركهم في كلّ صـغير وكبير من أمور الحياة، الكلام والطعام والمزاح.. اترك بينك وبينهم مسافة...

☆☆ عند إعطاء المهمة، لا تقل يجب عليك إنجازها، وإنما قل يجب علينا أن ننجز هذا العمل لأنه مهم...

☆☆ أحسـن الظنَّ بقدراتهم، أخبرهم عن المهمة واتركهم، أو راقبهم عن بعد...

وفي حالة قيام أحدهم بخطأٍ فليس من حقّك أن تسـيء الأدب معه أو تتجاوز عليه بالألفاظ، هناك قوانين وعقوبة مناسـبة لخطئه، إن كان يستحقّ.. ويمكنك تجربة هذه الأمور مع أولادك...

☆☆ إذا أردت أن تُطاع...

في نفسِ معملِ النفط في السـليمانيّة كنت محاسـباً وإداريّاً في أيّام العمل، أما عندما تمر أيام وأيام بدون وجود النفط الخام فإنّنا جميعاً نعمل في ترتيبِ وإدامة هيكلِ المعمل وبنيته، وكذلك تنظيفه.. أرضـيةُ المعمل من التربة وغير معبّدة، وفي الشتاء تغوص إطارات الشاحنات في الطين، لذلك كنا نحضـر قلاب من الحصـى كبيرة الحجم ونفرشـها لتحول دون انغراس الإطارات في التربة.. يوماً كنت أشارك في فرش الحصى، كان عملاً صعباً لذلك تركناه.. وجلسنا ننتظر صاحب المعمل ليحظر معه معِّدة خاصـة لفرشـه.. جاء الرجل بعد سـاعات وأخبرنا أن نفرشـه باستخدام المجرفة اليدوية.. جرّبنا هذا الحل ولكن هذه المجرفة لا تحمل الحجارة، أخذها من أيدينا وجرّب بنفسـه فلم يسـتطع.. قال: لنفرشـه بالأيدي حجراً حجراً.. ولكن قبل أن نخبره باسـتحالة فعل هذا الشـيء.. غيّر رأيه وقال: حسـناً ! اتركوها سـوف أحضـر آلية الحفر (الشفل)

لذلك إن أردت أن تُطاع.. فأمرْ بالمُستطاع ...

☆☆ اختر موظفاً جيَّد السلوك قليل المهارة، أفضل من موظفٍ سيء السلوك كثير المهارة.. لأنك تستطيع زيادة خبرته، ولكنك لن تستطيعَ تعليمه الأدب...

هناك قصّة حدثت يوماً.. تحكي عن الأشخاص الذين ينهمكون في العملِ دون توقّف أو راحة أو ترفيه.. فتُلقي الضوءَ على قضية التوازن في حياة الإنسان وأهميته...

كان هناك طالبٌ ذو ذكاء حادٍّ والأول على دفعته، وفاز بالكثير من الجوائز الأكاديمية لحصوله المستمر على درجة الامتياز، وكان الآخرون دائماً يرونه إما في قاعة الدراسة أو المكتبة حاملاً كتبه بين يديه.. وله زميل في القاعة يحصل على درجات جيدة، ولكنه لم يكن ندّاً له في الذكاء، ودائماً ما كان يحصل على درجات أقلّ منه، ألا إنه كان محبوباً وأكثر شعبية بين الطلاب، وكان بارعاً في الأنشطة المختلفة، مثل كرة القدم والتمثيل المسرحي والمسابقات.. في السنة الدراسية الأخيرة جاءت إحدى الشركات الكبرى لاختيار الطلبة المتميزين من أجل وظائف مرموقة في شركتهم.. كانت الجامعة بأكملها تكاد تُجزم أنهم سيختارون الطالبَ الأول وستعطي له أعلى الرواتب، بسبب درجاته العالية.. ولكن في النهاية وقع اختيارُهم على الطالب الأكثر شعبيّة . . . استشاط الأول غضباً يريد أجوبة،ردّ عليه الرجل الذي أجرى معه المقابلة قائلاً: صحيح أنّك تتفوّق عليه في مستوى درجاتك، ولكن معرفتك بالكتب وحدها لا تمكنك من التعاملِ في الشركة مع الأشخاص المختلفين أو العمل ضمن فريق.. أمَّا

صـــاحبك فلديه خبرةٌ في التعامل مع العالم في مختلف المجالات.. بالإضافة أن كونه رياضيّاً، تعلّمَ قيمة المشاركة والعمل ضمن فريق، كما أنه أكثر مرونةً وقدرةً على التكيف.. نحن لا نريد فقط رجلاً ذكياً، بل نريد الشـــخصَ القادر على التعلّم والمشـــاركة وإلهام الآخرين للإنجاز، وهذه الصفات هي ما دفعتنا لاختياره . . . وأنت أيضاً عليك أن تكرر المشـاركة في نشـاطٍ رياضـيّ، أو رحلة مع الأصـدقاء بين الحين والآخر، لأن كثرة العمل دون مرح تجعلك غبيّاً،، فمن الجميل أن يأخذ الإنسـان اسـتراحةً من العمل، ليتعلم شـيئاً جديداً يسـتطيع أن يصنع منه ذكرى جميلة لنفسه في هذه الحياة...

☆☆ احصـــل على وظيفةٍ جيدة وأنت صـــغير حتى لو كنتَ غنيّاً، لأنَّ المال والصـــحة لا يدومان أما الوظيفة فســـتبقى معك إلى الأبد، ولن تؤثّر على استثماراتك...

☆☆ عندما تكون مبتدئاً وتخطئ، لا تحاول إصـــلاحه، لأنك ستزيدُ الخطأ.. عليك بطلب النصيحة.. فهي أفضل للعمل، وأكثر جذباً للأصدقاء...

☆☆ كن عاملاً وتنازلْ عن مركزك لتكتشف العيوب ومشاكل العمل بنفسك...

كمدير ثم رئيس لدار ســـك العملة الملكية، قدّر "نيوتن" حجم العملة المزيفة المتداولة خلال فترة عملية إصـــلاح العملة الإنجليزية عام ١٦٩٦ بحوالي عشـــرين بالمئة من حجم العملة المتداولة في السوق..

كان تزييف العملة يُعدُّ خيانةً عظمى للمملكة المتحدة، يُعاقب عليها المجرم بالشـنق والسـحل وتقطيع الأوصـال.. إلا أن تقديم دليل للإدانة كان أمراً صـــعباً للغاية.. ومع ذلك أثبت نيوتن أنه كفءٌ لهذه المهمـة، فقد تنكّر في زيّ مرتـادي الحـانـات وجمع الكثير من الأدلـة بنفســـه، وتمكّن خلال قرابة ســـتة أشـــهر من إثبات التهم على ثمانيةٍ وعشرين مزوّراً بنجاح...

☆☆ لا تقترب من مدير عملك أو صـــاحب العقار الذي اســـتأجرتَ منه إلَّا في حالة الضـــرورة.. لتبقى محترماً.. لأنه كثيرُ التطلّب، افعل هذا.. هل يمكنك أن تجلب لي هذا.. رجاءً ســـاعدني في هذا.. ولن تنتهي طلباته.. التي هي في حقيقتها (أوامر)...

☆☆ حاول قدر الإمكان ألّا يكون مظهرُك أجمل من مظهر مسؤولك في العمل، وأكثر وسامة.. فهذا يستدعي الغيرة، والحقد.. واجعل موقفَه يبدو أفضل أمام رؤسائه أثناء المناقشات والاجتماعات.. وانسبْ إليه بعضَ الفضل.. ولكن عندما تخطئ لا تسمح له أن يوبخك، قل له ضغط العمل ولا يوجد بشر لا يُخطِئ.. أسكته على الفور قبل أن يتمادى...

☆☆ لا تسرف في العمل وكأنه روحك، ولا تتعلّق به كأنه طفلك الصغير، بينما الكلّ يجلس مسترخٍ ويمرح ويضحك.. وأنت تعذّب نفسك وتلومها على التقصير والأعطال.. تعود للبيت فتهمل عائلتك وتفكّر في الماكنة التي أصلحتها والتقرير الذي أعددته.. حتى تموت أو تُجرح بسببه.. كن وسطاً ما بين الإهمال وزحمة الانشغال.. فإنَّ بينَ العمل والتعب واللوم علاقةً طردية...

تعمل أكثر، تتعب أكثر، وتُلام أكثر...

تعمل أقل، تتعب أقل، وتُلام أقلّ...

أمَّا إذا لم تعمل، فلن تتعب، ولن تُلام على شيء...

☆☆ كن مرناً ولا تطبّق كل ما يخبرك به المدير بالحرف الواحد، لأنك ستؤذي من هم تحت إمرتك، تساهل في بعض الأمور فأنت قريبٌ منهم، وأعلمُ بحالهم وظروفهم من المدير...

☆☆ لا تتشـــاجر في العمل ولا تتشـــاجر لأجل العمل، لأنّ العمل سـينتهي.. ومن الجميل أن تلتقي صـاحبك بعد سـنين بابتسـامةٍ وذكرياتٍ طيبة...

☆☆ والأهم من كلّ هذا.. لا تطرد أيّ شـــخص من العمل وتقطع رزقه، ولا تسـاعد على ذلك.. لأنه أصـعب من الموت (إلَّا بعد أن تيأس من إصلاحه)...

☆☆ بعض العمال الماهرين لديهم شيءٌ يخالف رأيك وعندهم بعض الأخطاء، لا تنتبه لهذا، وإنما ركّز على الجزء الجيد فيهم وركّز على الهدف من العمل .. فمن الحكمة التضـحية بشـيءٍ يسـير للحفاظ على ما هو أغلى وأثمن.. وإليك هذه القصة التي علقت في ذاكرتي من الطفولة، كنا نقرأها في كتب المدرسة الابتدائية...

يُحكى أنَّ فلاحاً كانت له مزرعة كبيرة فيها الكثير من الخضار وأشـــجار الفاكهة، وفيها أيضـــاً حظيرة دواجن من دجاج وبط وإوز.. والكثير من الأرانب البيضـــاء الجميلة.. لاحظ الفلاح يوماً أنَّ عدد أفراخ الدجاج في الحظيرة ينقص يوماً بعد يوم.. فأخذ يفكر: أين تذهب أفراخ الدجاج؟ هل تموت؟ هل يســـرقها أحد ؟ وعندما تحرّى الأمر وراقب جيداً.. لاحظ أنَّ طائر البوم يســـتوطنُ المزرعة ويتغذَّى من حين إلى آخر على أفراخ الدجاج ويأكلها..

فقرّر القضاء على جميع طيور البومة في المزرعة، فقام بقتلها ودمّر أعشاشها التي فوق الأشجار.. ولكن بعد بضعة أسابيع لاحظَ الفلاح أنَّ النباتاتِ في مزرعته تتعرض للأكل والتلف.. ولمّا تحرّى الأمر مجدّداً، وجدَ أن مجموعة كبيرة من فئرانِ الحقل تهجم على مزرعته وتأكل الخضروات، مما يسبب له خسارة كبيرة كلّ يوم.. أخذ يفكّر ويفكّر.. لماذا زاد عدد فئران الحقل بعد أن قضى على جميع طائر البوم في المزرعة ؟ واستشار زملاءه المزارعين المجاورين له، حتى توصّل إلى نتيجة مفادها أنَّ طائر البوم كان يتغذّى أيضاً على فئران الحقل بالإضافة إلى أفراخ الدجاج الصغيرة.. وأنه بعد القضاء عليه زاد عدد الفئران في المزرعة..

وهكذا قرّر إعادةَ هذا الطائر إلى المزرعة.. لأنه سيأكل فئران الحقل ويقضي عليها، بالتالي يحمي الخضروات من أذاها.. ولا بأس إن أكل بعض أفراخ الدجاج بين الحين والآخر، فخسارة أحدِ أفراخ الدجاج، أفضلُ من خسارة كميةٍ كبيرة من الخضروات..

ثم قام المزارع ببناء أقفاص للدجاج تحميها من طائر البوم...

لكن .. هذه الوظيفة تحتاج إلى دعم، وعمل حرّ يساعدك في مواجهة النفقات التي تزداد مع الوقت، وتزداد مع زيادة حجم أولادك..

قرأت مرّة طرفة جميلة لشـــخص يقول: عندما يأتي راتبك في الوقت المناســب، ســتأكل الدجاج.. وعندما يقلّ الراتب في منتصــف الشـهر، سـتأكل منتجات الدجاج كالبيض.. وقريباً من نهاية الشـهر تبدأ في تناول ما يأكله الدجاج، مثل الذرة والقمح.. وأخيراً عندما ينتهي الراتب سـتتحول إلى الدجاجة نفسـها، تقضـي معظم وقتك هائماً تبحث عما تأكله..

فراتبك بذرة تحتاج أن تأخذَ بعضـــه وتزرعه في الاســتثمار، لأنَّ الراتب وحده لا يمكن أن يحلَّ جميع مشـاكلك المالية.. ضـع خطّة بديلة من الآن، فالاستثمار الحكيم سيوفّر فرصاً للإنسان ليأكل الدجاج متى شـــاء.. حاول أن تفكر في الاســتثمار، لأنك لن تكون شـــاباً إلى الأبد.. فكّر في تـأمين حياتك، لأنك لن تكون قوياً إلى الأبد.. فكّر في زيـادة الأعمـال، لأنـك لن تكون موظفاً إلى الأبـد.. أنـت فكّر والله هو الرزّاق...

لكن هذه المشـــاريع الخاصـــة تحتاج إلى مواهب.. تحتاج إلى نشـــاط وإمكانيات لتحصـــل على المال.. فالمال في الوظيفة الحكومية متوفّر بكل الأحوال.. أمّا في العمل الحر يكون المال فريســـة صـــعبة الاصـطياد.. وعندما تكاد تصـل إليه يتحرّك ليختفي مجدداً.. لذلك يجب التسلّح بأساليب وألغاز تسهّل لك الحصول عليه...

☆☆ ابدأ بـاختيـار مشـــروع أنيق ونظيف، جهد قليل ومـال كثير،، فحتى لو كان العمل بسيطاً ربما يجمع المال الكثير.. اسعَ جاهداً

لتبدأ مشـروعاً يدرّ عليك المال الوفير ويتوسّـع مع الوقت، لتتضـاعف أرباحه بسـرعة.. عملٌ يحافظ على نضـارة وجهك، واسـتقامة جسـدك، يحافظ على أخلاقك وتسـامحك وابتسـامتك.. وابتعد عن الأعمال البدنية التي لا يتضـــاعف فيها ولا يزداد إلّا التعب والألم والمرض.. اهرب من أعمال كلّما مرّ بك الوقت تدفع ضـــريبتها من جســدك وصـــحتك وفرحتك.. ألا ترى بعض الناس لا يعمل إلا في صـــياغة الذهب، أو محلات الصـيرفة وتداول العملة، أو على الأقل مكتبة، أو بيع وتصـليح الهاتف.. بينما آخر أفنى عمره يبيع الخضـار، أو سـائق تكسـي أو عامل بنّاء، لا استثمار.. لا اكتفاء مالي.. ولا مكافأة آخر العمر...

☆☆ خذ بالأسـباب على أكمل وجه، وبكل تفاصـيلها الدقيقة.. الديكور، النظافة، الرائحة، الطعم، الكلام، الاســـتقبال، الابتســـامة، الوقت، التنظيم، الترتيب، التحديث...إلخ، وللمشروع أو الموظفين على حد سواء.. ويمكنك أن تشاهد قناة ناشيونال جيوغرافيك وتراقب كيف يهتمّون بأدقّ التفاصـــيل، والاعتناء بها أكثر من المطلوب، ويختارون الأفضـل دائماً.. الكاميرا، آخر ما توصـلت إليه التكنولوجيا والتطور.. الأماكن، أجملها وأغربها.. التعليق الصـــوتي، ينتقون أصـــواتاً رائعة تجذب المشاهدين.. النصوص، يكتبها مؤلفون بارعون أفضل حتى من مؤلفي الكتب أنفسهم...

☆☆ في بداية عملك ومشـــروعك الجديد ركّز على العمل وليس المال.. حتى لو كنت مخلصـــاً ومميزاً في طريقة أداء عملك، لا

تهتم للمال في البداية.. ربما تقول إنّ طريقة عملي تســـتحق الكثير أو غير ذلك من الأعذار الحقيقية،، ولكن فكّر معي!! كلما عملت أكثر ستتقن الطريقة، وسيصبح اسمك معروفاً، ويحتاجك الناس أكثر ويزداد أجرك.. ســتتعلم من أخطاء العمل لتتجنّبها عندما تصــبح ناجحاً، لأن عثرة المتقن لعملــه تختلف عن المبتـدئ (من نـاحيـة التـأثير على سـمعته).. وفي العمل المسـتمر لن تعتاد الكسـل والجلوس في البيت.. لأنك إذا اعتدت الكسل سترفضُ أفضلَ الفرص عندما تأتيك...

☆☆ يجب أن تكون ليّنَ الطبـاع، ســـهلَ التعـامـل، وكثير الابتســـامة، أو ابتعد عن العمل الحر.. يقول المثل (قبل أن تفتح محلاً تعلم الابتســـامة) لأن الربح الحقيقي في أعمال البيع والشـــراء هو أن يعود الزبون مراراً وتكراراً، رأس المـال والأربـاح والمـدخرات هم الأشـــخاص حولك، وعدد مرات عودتهم لمحلك ليشـــتروا منك.. أما الطباع السيئة فإنها لا تُبقي لك مالاً ولا صديقاً...

☆☆ ثم يـأتي الالتزام بـالوقت، إنـه أمرٌ مهم جداً، لن تكون ناجحاً ما دمت تنام بعد صـــلاة الفجر، لن تكون ناجحاً حتى تنام باكراً وتصـــحو فجراً.. قدَّم ســاعتك وســاعات البيت كلها خمس أو عشــر

دقائق.. لأن التأخير المستمر يدلّ على الفشل.. حتى إن كان موعد العمل لم يحن بعد، فيمكنك قراءة القرآن والتعلم وممارسة الرياضة، وأداء بعضٍ من أمور المنزل البسيطة.. فبعضنا ينام ليحلم بالنجاح،، والبعض الآخر يستيقظ لتحقيقه...

☆☆ كن صادقاً في تعاملك وفي كل شيء، ولن تخسر أبداً.. وعليك أيضاً أن تعرف قَدر نعمة الله عليك، وتستعملها في طاعة الله وتشكره عليها، وتنفقها في طرق الخير.. وأفضلها أن تنفقها على أهلك.. فلا بخل، ولا تبذير.. عن عائشة رضي الله عنها، قالت: دخل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يوماً فرأى كسرة ملقاة، فمشى إليها فأخذها فمسحها ثم أكلها.. ثم قال (يا عائشة أحسني جوار نِعَم الله، فإنها قلَّما تزول عن أهل بيت فكادت أن تعود إليهم).. وقال سبحانه وتعالى ((لَئِن شَكرتُم لأزيدنَّكم)) ...

☆☆ لا تستعجل الربحَ السريع لأن ما يأتي بسرعة يذهبُ بسرعة.. عليك بالصبر والاستمرار، والبحث عن أسباب تلكُّؤ تجارتك وتأخّر نموها،، فبالصبر والاستمرار تحصل على ما تتمنى وأكثر، والاستعجال يدمّر كل شيء...

☆☆ لن تعيش بدون هدف.. لا هدف يعني لا طريق، وتبقى تدور في دوائر وتعود لنفس المكان.. وكلٌّ منّا قد جرّب ووضع يوماً هدفاً أمام عينيه ووصل إليه بلا شك.. في صغري لم أكن أملك منزلاً، لذلك وضعت هدفاً وهو امتلاك شقّة أسكن فيها، عندما حصلت على ما

يكفي لشـــرائها غيّرت رأيي إلى شـــراء قطعة أرض ثم بنـائها في المستقبل.. ومجدّداً ما إن حصلت على ما يكفي من المال لشراء قطعة الأرض، غيرت رأيي لشراء بيت جاهز للسكن.. وبفضل الله استطعت الحصـــول على بيت وانتقلت إليه مع أمي وأخوتي.. ولا أتذكر أني امتلكت مبلغاً فائضاً عن حاجتي بعدها.. لأني بقيت بدون هدف...

☆☆ تُفَضِّل الثروةُ الشجعانَ.. فإذا جاءتك فرصة جيدة للربح، فلا تفكّر بالراحة والرفاهية.. بل اعمل ليل نهار واحصـــل على كل ما يمكن الحصـول عليه من هذه الفرصـة.. لأنَّ الفرصـة الجيدة لا تتكرَّر ولن تدوم.. الفرصـة عمرها قصـيرٌ.. فلا تهدأ للحظة، ولا تلتفت لهوى نفسـك ورغباتها.. وهذه الفرصـة سـتُسـلب منك قريباً، لأن المنافسـين والحاسدين سيظهرون فوراً...

اغتنم الفرصـــة وحـافظ عليها واحصـــل على كلِّ ما فيها، اعصـرها كما تُعصـر أنبوبة معجون الأسـنان عندما تنفد... فمن يفوّت الفرصة عندما تأتيه، لن يدركها عندما يسعى إليها...

☆☆ سـيوفقك الله يوماً وتصـل إلى النجاح بسـهولة، ولكن الثبات على النجاح أصعب مما تتوقّع.. فلا تجزع عندما تخسر، اصبر وابحث عن حلٍّ مهما كانت المصيبة كبيرة.. فلا بد من وجود الحلول.. والكثير من الحلول، ما دمت لن تيأس.. فليسـت معضـلتك أكثر تعقيداً من رقبة هذا الطفل الذي ذُكرت قصـتُه في موقع ديجيتال جورنال: نجا

رضيع يبلغُ من العمر ستة عشر شهراً من الموت بأعجوبة، بعد أن تمكّن نخبةٌ من الأطباء من إعادة رأسه المفصول عن جسده إلى عنقه جراء حادث مرور، ومن خلال عملية جراحية دامت ست ساعات..

كان الرضيع جاكسون تايلور برفقة والدته وشقيقته البالغة من العمر تسع سنوات على متن سيارة العائلة حين وقع الاصطدامُ بسيارةٍ أخرى سرعتها سبعون كيلومتراً في الساعة.. في "بريزبن" عاصمة ولاية كوينز لاند بأستراليا وفق ما ذكر موقع ديجيتال جورنال.. وتسبّبت قوة الحادث في فصل رأس الرضيع عن عنقه، قبل أن يتمكن الفريق الطبي من إعادته إلى مكانه.. وقاد هذا الفريقَ الجرّاح "غيوف آسكن" الرائدُ في حقل هذه الجراحات الدقيقة،، شيخ جراحات العمود الفقري كما يُطلق عليه.. وأعاد الجرّاح توصيلَ الرأس مستخدماً أسلاكاً وجزءاً صغيراً من أحد أضلاع الطفل، فيما وصف العملية المعقدة بأنها أسوأ جراحة شهدها على الإطلاق...

الآن.. هل تظن أنَّ مشكلة عملك أكثر تعقيداً أم رقبة هذا الرضيع !! لا تيأس.. فلابد من وجود الحلول...

☆☆ أما الفشل.. فإنه أفضل ما سيحدث لك، لو قرأت عن الناجحين من الناس في مختلف تخصّصاتهم وعن العلماء، ستجدهم كلّهم قد تعلّموا من الفشل واعتبروه درساً قيماً..

ومنافسك ليس شرّاً وانما هو سرُّ نجاحك، فعند ظهور منافس لك، لا تهرب بل طوّر نفسك ومجال عملك.. فهذا المنافس سيدلّك على

طريق النجاح وينبّهك على عيوبك.. فلا تجعل طبعك الهرب أمام المعوقات، بل واجه مخاوفك وتغلّب عليها، واعرف عيوب مهنتك، واذهب إلى غيرك ممن يمتهنُ نفس عملك، واعرف الفرقَ وتصيّد أسباب نجاحه..

ركّز على النجاح، فإنَّ ما تركّز عليه يتوسّع.. ركز على النجاح والتفاؤل وعلى الأمور الإيجابية في تخصصك، اجعل النجاح نصبَ عينيك.. فطريق النجاح والاستثمار والبدء من جديد لا ينتهي إلّا بالموت...

وتذكّر.. أن كلَّ الاختراعات العظيمة اكتُشفت بالخطأ...

☆☆☆

في الحياة وربّما في العمل خاصة ستأتيك المشاكلُ والخسائر دائماً، وكلّ مرّة بشكلٍ جديد.. كلها تحتاج النظرَ بعدّة اتجاهات لتخرجَ منها سالماً...

الحل.. أن تكتب المشكلة في ورقة بيضاء، ثم اسحب منها خطاً باتجاه معين، واكتب في نهاية الخط حلاً لهذه المشكلة.. ثم ارسم خطّاً ثانياً واكتب حلاً آخر للمشكلة.. ثم خطَّاً وحلَّاً ثالثاً.. وهكذا

ستخرج الأفكار والحلول تلقائياً، ولكل حلّ من هذه الحلول اكتب أمامه مساوئه.. عندها ستجد الكثير من الحلول وكذلك ستجد من بينها الحل الأفضل للمشكلة التي واجهتك..

أما لو نظرت باتجاه واحد وبدون دراسة مساوئ هذا الحل، ربما ستقع في مشكلة أكبر...

قبل سنين اتفقت مع شخصٍ لعمل التأسيسات الكهربائية لمنزله، عند دخولي للمنزل تفاجأت بلون الجدران والغرف، كلّ شيء يحمل آثاراً بلونٍ أسود وبقايا رماد ورائحة البلاستك والأثاث المحترق.. ثم علمت أن حريقاً اندلع في غرفة نوم أطفاله ولم يستطع أحد إخراجهم من الغرفة، لأن الباب كان موصداً بقوة ضغط الحريق التي تؤثّر عليه من الداخل وتمنع فتح الباب..

بعد أيام من العمل في ذاك المنزل، لاحظت أن هذا الرجل قد وضعَ باباً جديداً له إطار من الحديد، تتوسطه قطعةٌ كبيرة من الزجاج، تجنّباً للحريق إذا اندلع مرة أخرى، ليتمكّنوا من كسره والدخول.. تفحّصت الزجاج، كان من النوع العادي الذي يُستخدم للنوافذ..

هذا الرجل نظر للحلّ باتجاه واحد وهو اتجاه معاكس للمشكلة.. بما أنَّ وفاة الأطفال حدثت لأنهم لم يتمكّنوا من فتح الباب أو كسره في وقتٍ قصير.. فالحل برأيه هو بابٌ زجاجي يسهل كسره والدخول.. مع أنه نسي أن هذه القطعة الكبيرة من الزجاج إذا ضربها طفل بلعبة

صلبة أو أي قطعة من المعدن، سوف تتحطم وتسبّب للطفل جروحاً خطرة، ربما تؤدي إلى وفاته...

لهذا يجب دراسة المشكلة، ودراسة الحلول أيضاً، للوصول إلى الحل الأمثل.. أما إذا صعب عليك إيجاد الحلّ لمشكلة ما، اتركها لفترةٍ قصيرة، وستجد الحل عند عودتك...

☆☆حتى عندما تكون أمور العمل بخير سيزورك الملل والضجر، وتبدأ بإنتاج الأعذار للتهرّب من العمل والتملّص من المسؤولية، بحجّة التعب، وحجة الحفاظ على الصحة، وحجة توفير وقت للعائلة، وكثير من الأعذار التي تصنعها داخل عقلك للبحث عن الاسترخاء.. لذلك عندما تملّ العمل، اذهب لسوقٍ شعبي وانظر إلى الناس ماذا يعملون.. ماذا يبيعون في حر الصيف.. وصعوبة معاناتهم في الشتاء والمطر.. واحمد الله على ما تملك من النعم قبل أن تفقدها...

☆☆ ثم إن هناك سبباً رئيسيّاً لخسارة العمل والمال والنجاح.. هو (بشِّر القاتلَ بالقتلِ وبَشّر الزَّاني.....)..

يحكى أنّه في قديم الزمان، كان هناك خيّاطٌ يصنع الثيابَ للرجال والنساء، كان الخيّاط على خلقٍ طيّبٍ وسمعته حَسنةٌ بين الناس، وعندما كانت أي امرأة تحضر عنده للقياس يقوم بذلك بكلِّ أدب وحشمة، باذلاً قصار جهده ألَّا يلمسها..

مع مرورِ الأيام تغيّرت طبائع وسلوكيّات الرجل، فذات يوم حضرت إلى دكانه امرأة على قدرٍ كبيرٍ من الحسن والجمال، وفي لحظةِ ضعفٍ سوّلت له نفسه فلمس يد المرأة.. ولكنه انتبه إلى نفسه وعادَ إلى رشده واستغفرَ الله، وقام بدفعِ المرأة خارج الدكان.. ثم أخذ يلوم نفسه ويعنّفها فيما أقدم عليه من تصرّفٍ غيرِ لائق.. ولم تعد له رغبة في العمل فقامَ بإغلاقِ الدكان والعودة إلى بيته.. عندما وصلَ البيت وهو في حالة يُرثى لها وجد زوجته في حالة لا تَسُرّ، متجهّمةَ الوجه وقد بدت على وجهها علاماتُ الحزن..

فسألها الزوج عمَّا أصابها.. فقالت له زوجته: والله يا زوجي لقد حدثَ اليوم أمرٌ غريب، فأنت تعلم أنَّنا نتزوّد بالماء بواسطة السقا.. وهو إنسان عهدنا فيه الأدبَ والحشمة طوال المدة التي تعاملنا فيها معه..

أمَّا اليوم فقد وقع منه تصرّفٌ غريب وغيرُ لائق، ففي الماضي كان يحضر لنا الماء ويخرج دون أن يحاولَ أن يلمسني، ولكنه اليوم وعلى غيرِ عهده حاولَ لمس يدي، لكنني دفعته بعيداً عني وأخرجته من البيت..

فلما سمعَ الرجل قصّة زوجته، مرَّ بخاطره ما قام به مع تلك المرأة عندما حضرت إلى دكانه وحاولَ لمس يدها، فقال لزوجته على الفور: دقّة بدقّة،، ولو زِدنَا لزادَ السقَّا...

فإذا أردت أن تخســـرَ الكثير! عليك بما قاله الأجداد، (بَشّـــرِ القاتلَ بالقتل، وبَشّـــرِ الزاني بالفقر).. فابتعد عن عملٍ أغلبُ زبائنه النساء، فهو بابٌ للشرور.. وتأتيك منه الخسارةُ في الدنيا والآخرة...

☆☆أفضلُ فائدة لمقاس الحذاء...

سوف تحصل على المال مبكّراً ولا بد.. إياك أن تقول لنفسك إذا لم أســـتمتع بالمال فما فائدته.. احذر أن تخدع نفســـك وتظن أنك ســـتقفُ في القمة لوقتٍ طويل، (فما بعد الوصـــول إلا النزول) هذه فرصـــة وربما لن تتكرر.. عليك أن تنمّي أموالك وتســـتثمرها، وتبقى تكدح في الطريق بنشاط كبير، وأن يزداد نشاطك معك يوماً بعد يوم.. ولا تلتفت لرغبات وهوى نفســـك.. اســـتمر بالعمل جاهداً، ولا تتوقف حتى يصبح عمرك بمقاس حذائك..

لا تقل متى ســـوف أســـتمتع ؟ لديك الكثير من العمر.. بل إنك مع تقدّم العمر ســـتعرف الاســـتمتاع الحقيقي، ومكانه وطرقه.. وعندها ستنسى التعب والجهد الذي بذلته سابقاً.. استمر بالعمل، استمر بجمع المال ولا تتوقف..

احصل على مورّدَي دخلٍ على الأقل مهما كانا بسيطين، حتى لا تتوسّل ولا تذلّ نفسك، ولا تحتاج لصاحب العمل.. وستصبح أنت

من يضع الشروط، وستتعجّب كيف أنهم سيوافقون ويقبلون بك.. ابقَ مستمرّاً في نشاطك، وحاول أن تمتلك عقاراً على موقعٍ تجاري حتى لو بمساحة صغيرة.. لا تبرُد ولا تقف.. استمر مهما كانت المعوقات لأن الهدف قريب...

لا قناعة حتى يكون لديك طريقان.. لتسلك الآخر وقت الحاجة.. لا قناعة حتى يكون لديك عقاران، أحدهما للسكن والآخر للإيجار، ويعود عليك ببعض الدخلِ الإضافي...

لا قناعة حتى يكون لديك عملان، في حال فقدت أحدهما سيبقى لك مصدرٌ آخر للرزق.. وليس شرطاً أن يكون العمل بجهدك العضليّ.. يمكنك أن تفتح مشروعاً لا يحتاج لجهد وتعب، أو مشروع يُديره غيرك.. لا تقنع.. ولا تتوقف.. حتى يصبح عمرك بمقاس حذائك...

ولا تخف.. لن يذهب تعبك سدى ...

المحامي الألماني "جان شترو" ظل يتابع البرنامج التلفزيوني للمسابقات (من سيربح المليون) منذ أن كان عمره عشرين سنة.. درسه بشكل عميق وتابع كل الحلقات وعددها قريبا من ألف وخمسمئة حلقة .. وعمل على تحليل أسئلة وإجابات كلّ حلقة بتفاصيلها.. في

محاولةٍ لحفظ أكبرٍ قدرٍ ممكن من المعلومات.. وكذلك حفظ الكثير من المعلومات من خارج البرنامج.. وكان ينظّم من وقت إلى آخر اختباراتٍ منزلية ويدعو أصدقاءه للمشاركة فيها.. ثم تقدّم للاشتراك في البرنامج وقبلوه ووصل لمنصة الأسئلة وأجاب عليها كلّها.. ونجح في ربح مليون يورو فعلاً.. بعد تخطيط خمسة عشر عاماً.. حيث إن كثيراً من الأسئلة كانت قد وُجّهت في حلقات سابقة...

قرأت يوماً كلمة لأحد العلماء قال فيها: "من يتوقفون عن المحاولة.. لا يدركون كم كانوا قريبين من خط النهاية"...

يهب الله الطيور غذائها .. لكن

لا بد ان تطير لتصل اليه ..

كُن حذراً ...

من أيّ شيء تحذر ؟.. لا أعلم ..

في هذه الحياة.. مهما كان حالك، غنياً أم فقيراً لن تســـلم من الاحتيال.. ومهما كنت قوياً، ستنجذب لشباك المخادعين.. وكلّما وثقتَ

بالناس أكثر، كلما زدت الضرر على نفسك.. وليس هناك قاعدة لتأمن مكرَهم، فالحيلة أسرعُ تطوراً من العلم...

ولا نجاة لك إلا أن تتيقظ حذراً، وتتعلم من أخطاء غيرك.. ومع هذا.. فلن تنجوَ إلا بعد أن يقسو قلبك من كثرة السقوط في شباكهم..

وتذكر أنّ السعيد.. من اتّعظ بغيره...

☆☆☆

عام ١٩٩١ تمَّ فرض الحصار على بلدي العراق.. حصار في الأسلحة والمعدات والأغراض، وحتى الغذاء والدواء والملابس.. قامت الحكومة بتقليص مفردات البطاقة التموينية الغذائية إلى الربع، مما سبّب بمجاعةٍ وحرمان للطبقة الفقيرة التي تُمثّل معظمَ السكان.. وسنة بعد أخرى تبدّلت الأمور من سيء إلى أسوأ، حتى إن أصحاب المطاحن قاموا بطحن الذرة بدل القمح، والمحتالين يخلطون الملح مع مسحوق الغسيل ليثقل وزنه.. أو خلط الملح مع السكر للفرق الشاسع في السعر.. وسلق البطاطا وهرسها بالخلاط ثم خلطها مع سمن الطعام..

رأيت يوماً تجمعاً على أحد الباعة وكأنه يوزع الأغراض بالمجان، أصابني الفضول وذهبت أستكشفُ بضاعته، فوجدته يبيع أرجل ورؤوس الدجاج.. نعم،، فقط أرجل تحتوي أصابع وجلد أصفر،

ورؤوس فقط.. أما الخياط ففي ذلك الوقت يمكنك أن تجلب له قميصك المستعمل فيقلب لك ياقته، لتتمكن من ارتدائه مجدّداً لعدة أشهر أخرى.. وهناك مَن يُحضر بدلة عمل ليصنع منها بنطالاً رجالياً، ثم يذهب لمحلات خاصة لصبغ الملابس،، يصبغه باللون الأسود ويرتديه.. كانت فترةً حرجة جداً ومؤلمة.. حتى الناس تغيّر شكلهم ولونهم من قسوة الظروف عليهم.. يتميز الرجالُ بعظمة بارزة في رقبة كلّ واحد منهم (تفاحة آدم) كأنها وسم علق في رقابهم للدلالة على الفقر مدى الحياة..

الموظفُ يعملُ بعد انتهاء وقت الوظيفة، ليتمكّن فقط من توفير الطعام وبعض الأشياء الضرورية.. بعض المعلمين في المدارس كانوا يطلبون منّا كلَّ شيء، حتى أرغفة الخبز والبقوليات والأرز والخضار.. بعض الجنود المساكين يصعدون باص النقل وينامون في الممر بين صفَّي الكراسي، عندما يذهبون لواجبهم في محافظة أخرى، ليدفعوا نصف الأجرة.. كانت مأساةً حقيقية..

استمر الحال هكذا حتى عام ١٩٩٦ تمَّ الاتفاق والعمل بقرار الأمم المتحدة (النفط مقابل الغذاء) وبذلك انخفضت أسعار المواد الغذائية إلى أدنى مستوى.. وبين ليلة وضحاها أصبحَ سعر كيلو السكر ١٠٠ دينار بدلاً من ٢٠٠٠ دينار.. والفاصولياء ٦٠ دينار بينما قبل يوم أو يومين كان سعر الكيلو ب٢٥٠٠ دينار.. وهكذا بقية المواد والخضروات.. كنَّا نبيع المواد الغذائية في سوق الدورة.. في مثل هذه الحال كان الناس يتوافدون للسوق ويشترون بكمياتٍ كبيرة، بعد أن

ذاقوا مرارة غلاء الأسعار لسنين.. فبعد أن كان الكثير من الفقراء يشترون معجون الطبخ بكيس صغير، يحتوي على ملعقتين تكفيه لطبخة واحدة ليوم واحد، أصبح باستطاعته أن يشتري أكثر من علبة.. كنا نحضر البضائع أكثر من مرة في اليوم وتنفد خلال بضع ساعات.. وعندما يذهب أحد الباعة إلى السوق نطلب منه أن يحضر لنا معه بعض المواد ثم نتقاسم الأجرة..

أتذكر في إحدى المرات، ذهب اثنان من الباعة لإحضار بعض المواد الغذائية فأرسلنا معهم المال لجلب السكر.. وقبل أن يصلوا إلى منطقة "جميلة" (مكان لتجارة المواد الغذائية في بغداد) تعرّض لهم أفراد عصابة يحملون أسلحة نارية وأمسكوا أحدهم، بينما استطاع الآخر الهرب.. لقد نجا وأنقذ أمواله وأموالنا التي أرسلناها معه.. بينما المسكين الآخر خسر أمواله وجميع الأموال التي أُرسلت معه.. وبفضل الله خرج سالماً من أي إصابة..

لكنه تفاجأ بموقف جيرانه.. فبدلاً من مساعدته لتعويض بعض مما فقده، طالبوه باسترداد أموالهم التي سُرقت منه.. سألوا شيخاً عن فتوى، فقال إن عليه التعويض.. ولكنه نصحهم أن يعفوا عنه ويتنازلوا عن حقهم، مساندة لصاحبهم الذي وقع في محنة.. المهم.. أنهم رفضوا نصيحة الشيخ وطالبوا بأموالهم ! وبالتالي دفع لهم حقهم كله...

لو أنه اتفق معهم من البداية بعدم التعويض في حال سُرقت أو أُتلفت أو حصل مكروه.. لكان أسلم له وأفضل...

فلا تثق بأحد، ولا تتهاون بإبرام العقود وإحضارِ الشهود، في كل صغيرة وكبيرة، وسواء كانوا غرباء أو أصدقاء.. اتفق على أجرةِ العمل أو النقل والخدمات حتى مع الصديق.. فأنت تنوي مساعدته، وهو يريد خدمةً مقابل ماله الذي دفعه لك..

ولا تخجل وتتردَّد في السؤال والإيضاح والكشف عن البضاعة والأجر.. هناك مثلٌ موصليٌّ قديم يقول: مئة قلبة ولا غلبة.. معناه، أنك لو انقلبت على البائعِ مئةَ مرّة، أفضل من تركه ليغلبك ويغشّك...

كان أبي رحمه الله يساعدُ الناس كثيراً ويثق بهم.. جاءه شخص يعرفه، بينهما علاقة سطحية (حدثت بعد شجار بسيط) ووضع بجانب المحلّ كيساً، وقال: سأعود لأخذِه بعد قليل.. كنا نبيع ونرتب الأغراض منهمكين مع الزبائن.. حتى سمعنا صوت الرجل بعد ساعة تقريباً ينادي: أين أغراضي ؟ أين الكيس ؟..

تسمّرنا للحظة.. لانعرف الإجابة.. وبعد بحثٍ متعب، لم نجدها.. ذهب الرجل غاضباً ليعود بعدها ومعه رجال الشرطة.. أخذوا أبي معهم للمركز، ليُسجن ليلة كاملة.. كانت ليلة عصيبة، فلا ندري ما

نقول لأمي التي استقبلتنا تسأل: أين أبوكم ؟.. إنها من أشد الذكريات حزناً.. لأن أبي رجلٌ طيب، سُجن لأوّل مرة في حياته بسبب كيس لا ندري ما يحتويه من أغراض أم نفايات.. وشخص في قلبه حقدٌ دفين، ربما دبَّر مكيدة لينتقم..

أو ربما كان الرجل محقّاً والكيس يحتوي على أشياء ثمينة.. ولكننا تعلّمنا درساً قيماً.. لا تضع الأمانات عندك، لأنك حين تفقدها سترى وجهاً آخر لصديقك...

عندما تقول إن الدنيا بخير والثقة موجودة، ستجد أن أحدهم قد وضع يده في جيبك.. وسيخبرك الناس أنّ الثقة مهمّة، والذي لا يثق بالناس ليس محلّ ثقة.. لا تهتمّ، يجب أن تحذر كثيراً...

حكم صدام حسين العراق لخمسة وثلاثين عاماً، ولم يستطع أي شخص أن يغدر به أو يغتاله، حكم بقوّة وسيطر على الجميع.. والسبب.. كما تحدث كاتب سيرته الذاتية، أنه لم يكن يثق بأحد قط...

كنت صغيراً أبيع وأشتري علب السجائر قرب كراج سوق الدورة.. يأتي شاب يشتري مني ويجلس بعض الوقت يساعدني في البيع، ويتكلم بأشياء مختلفة.. كان شاباً ودوداً جداً، وأحياناً أتركه وأذهب لأشتري طعاماً أو أذهب لدورة المياه.. أخبرني يوماً أن صاحب محل اللحوم التي تقع على بعد شارعين، لديه كمية جيدة من السجائر ويريد بيعها.. كالعادة تركته وذهبت، دخلت إلى القصاب أسأل عن الاسم الذي أخبرني به، فتبيَّن ألّا أحد يعمل هناك يحمل هذا الاسم..

قلت لهم: حســـناً.. لقد أخبروني أنّ لديكم كميةً من الســـجائر تريدون بيعها ؟.. قالوا: لا !..

عُدت لأســـال صـــديقي الشـــاب وأتأكد من العنوان... لكني لم أجده، اختفى واختفت معه أربعون علبة سجائر من أفضل الأنواع...

هل تعلم يا ولدي ما الذي أحزنني حينها.. أني كنت أتركه كل يوم وأذهب، وهذا يعني أنه ســـرق أضـــعاف ما أخذ اليوم.. حتى أني كنت أُحدِّث نفســـي كلما تذكرت الموقف وأقول: لقد ضـــجر وملّ من تكرار سرقتي، فودّعني بضربةٍ كبيرة...

قبل عدة سنين، افتتحت محلاً للعددِ اليدوية.. كان بجانبي معملٌ صـــغير للنجارة، يعمل فيه أب ويســـاعده اثنان من أبنائه.. مرتين كل أسبوع، كنت أسمع صياحاً وسبَّاً وتهديداً، عندما أذهب لأتبيّن الأمر، يقول المشتري إنه أعطى ثلثي قيمة الأثاث للنجار بعد أن تعهّد بإكماله بعد أســـبوع، وها هي ثلاثة أســـابيع انقضـــت، ولا أثر حتى لهيكل القطعة.. يعتذر النجّار ويخبره أنه أصـــابه مرض، ويتعهّد له مجدداً بإكماله خلال عشـرة أيام.. بعد انقضـاء هذه المدة يعود الرجل مجدّداً، ويتكرّر ســيناريو الصـــياح والتهديد، وبالطبع يقابله صـــاحبنا النجار بالاعتذار والتهدئة.. في البداية كنت أتدخّل لتهدئة وإرضاء الطرفين.. ولكن بعد أشـهر، وبعد تكرار هذه الحالة عشـرات المرات، أدركت أنّ الأمر برمّته حيلة لخداع الناس.. فعندما يطلب الشخص استعادةَ ماله،

يخبرونه أنهم أنفقوه لشراء الخشب اللازم لصنع قطعته.. وبعد تكرار هذا المناورة مع الزبون عدّة مرات، تجهزُ القطعة وتُسلّم إلى صاحبها...

أمّا اللغز في هذه الخدعة، أنّ الرجل سيأخذها بالرغم من عيوبها وعملها غير المتقن.. رضي بقطعة لا تعجبه، بعد أن يئس من النجّار... وكأنه يقول لنفسه: عصفور في اليد، خير من عشرة على الشجرة...

فلا تصدّق أصحاب المهن، وخاصة الحدّاد والنجار.. ولا تعطِ أموالك مقدماً.. ثم تتوسّل لينجزوا لك العمل.. لأنك في الأخير سترضى بما يقدموه لك، بل ستظن أنك ربحت...

وربما يكون المحتال بجانبك ... أبو طبر هو واحد من أشهر مجرمي العراق.. أثار موجةً كبيرة من الرعب والخوف واضطراب في الوضع الأمني.. أدت إلى إقالة مدير الشرطة العام، ومدير شرطة محافظة بغداد، ومدير مكافحة الإجرام.. وتحميلهم مسؤولية التقصير في كشف الحوادث التي وقعت، والتراخي في موضوع القبض على الفاعلين..

انت الأجهزة الأمنية والحزبية كلها قد أُدخلت في أقصى درجات الإنذار.. كما تم استدعاء خبراء من الاتحاد السوفيتي وفرنسا، كان من ضمنهم مديرا شرطة موسكو وباريس.. للمعاونة في إجراءات وتحقيقات الشرطة العراقية في تعقب المجرم..

وعلى إثر المعلومات التي قدّمها الخبراء الأجانب عن مواصفات الجاني من حيث الطول وبعض ملامح الوجه والعمر التقريبي.. جرت حملة شاملة في الأول من تشرين الأول 1973 صادف يوم جمعة، إعلان منع تجوّل شامل في عموم بغداد.. تمّ إغلاق مطار بغداد الدولي، وإيقاف حركة الطيران، وتمّ تقسيمُ بغداد إلى قطاعات.. ساهم في الحملة مسؤولون حزبيون، إضافة إلى الأجهزة الأمنية والشرطة..

تمّ تفتيش جميع الدور في بغداد للبحث عن أشخاص بمثل مواصفات أبو طبر، التي أعطاها الخبراء الروس والفرنسيون، ومع ذلك لم يتم الوصول إلى أي نتيجة.. ومما يجدر ذكره في هذا المجال أنَّ الفاعل وهو حاتم كاظم هضم (أبو طبر) كان قد شارك في حملة التفتيش مع الرفاق الحزبيين، في منطقة البياع والعامل وأم الطبول، باعتباره واحداً من الرفاق الحزبيين في المنطقة !...

☆☆☆

١٩+١ احفظ هذا الرقم جيداً ..

في السوق كان هناك رجلٌ يبيع السجائر بالجملة فقط، وبجانبه يعمل صاحبه لسنين، وينافسه بالبيع والبضاعة عينها، ولكن بدون حسد وتنافس.. بل يعين أحدهما الآخر ويقضيان النهار بالكلام الطيب

والمزاح.. مرَّةً لمح أحدهما أن رزمة ذات عشـر علب تُسـحب جانباً، التفت فرأى صـاحبه مبتسـماً.. تعجب لفعلته، وسـأله: ما هذا، ما الذي تفعله؟؟.. ضـحك صـاحبه عالياً.. قال وهو يعيد الرزمة إلى مكانها: كنت أختبرك!! وامزح معك.. وإلَّا كيف سيمضي اليوم..

ابتسـم الرجل، وعاد لزبائنه غير آبه لما حدث.. لكنّه بعد أن هدأ السـوق وانصـرف جميع زبائنه تذكّر ما حدث وبدأ يجمع أفكاره، عاد شـريط حسـاباته اليومية أمام عينيه، فقد كان كلّما عدّ أمواله وبضـاعته المتبقية ليلاً، وجدها تنقص رزمتين أو أكثر كلّ فترة.. مع أنه لم يكن يهتم للخسارة الطفيفة، لأن الأرباح كانت كبيرة.. ولكنه تنبّه لأمر الثقة الزائد عن حدّه.. فعلم أنَّ صاحبه كان يسرقه كل يوم وهو لا يدري، أمّا حين أمسكه متلبساً.. تظاهر بالمزاح...

☆☆ كان غفار رحيم الرفيعي وعلاوي كاطع علاوي، شابان في العشـرينات من عمرهما، قام كل منهما باختطاف وقتل الأطفال والفتيات القاصرات بدم بارد..

☆☆ أُعدم علاوي في بداية عام 2013، وذلك بعد أن تمَّ القبض عليه متلبّساً في النجف، حيث كان يغوي هذا السـفاح الفتيات دون سن الحادية عشرة عاماً إلى أماكن مختلفة، ومن ثم يقوم بجريمته البشعة...

بينما حُكم في خريف عام 2016 على غفار الرفيعي بالسجن المؤبد، وذلك بعد القبض عليه متلبساً باختطاف طفلة بريئة لم تتجاوز أربع سنوات من عمرها في كربلاء...

عُرفا بسفاحي كربلاء والنجف.. لم يتمّ الإمساك بهما إلّا بعد أن خطفا وقتلا ما يزيد عن ثلاثين فتاة...

☆☆ عُرف في إيران باسم علي أصغر القاتل.. كان أوّل قاتل متسلسل إيراني يتم توثيقه في القرن العشرين.. عندما كان طفلاً انتقل مع عائلته للعيش في العراق.. ومنذ أن كان يبلغ من العمر أربعة عشر عاماً..

بدأ الاعتداء على الصبيان والأطفال، ثم قتلهم، في العاصمة بغداد.. وقبل أن يتم الإمساك به، فرّ عائدًا إلى إيران في سنة 1933 وهناك استمر بممارسة جرائمه الشنيعة في طهران.. إلى أن اعتُقل وأُعدم، ولكن بعمر واحد وأربعين عاماً.. وقد ثبتت إدانة هذا القاتل في جرائم اعتداء وتعذيب وقتل 33 صبياً مراهقاً، ثمانية منهم في طهران والباقي في بغداد...

كل هؤلاء لم يتم الإمساك بهم إلا بعد تكرار الكثير من الجرائم.. بل إن أبسط السرقات لا يلقى القبض على فاعلها إلا بعد تكرارها لمرات عديدة.. حتى ونحن صغار كنّا نفعل أشياء نهانا عنها آباؤنا لعشرات المرات.. وعندما يتم الإمساك بنا نُعاقب وكأنها المرة الأولى...

ففي المرة القادمة التي تضـبط فيها أحدهم يسـرقك أو يخونك، فلا تعذره.. لأنها ليست المرة الأولى.. بل هناك ١٩ مرة على الأقل لم تعلم بها، وهذه هي المرة ال ٢٠ .. علِمت بواحدة، وخُدعت لأكثر من ١٩ مرة على الأقل...

☆☆☆

وليس شــرطاً أن تحذر الســرقة والخداع لتنجو، فهناك الكثير لتحذر منه... جاء شـخص إلى أبي يطلب المسـاعدة.. لم يطلب مالاً أو طعاماً، بل يريد مكاناً صـــغيراً ليعمل.. نهض أبي وأفســـح له بعض المجال ليضـع أغراضـه، ويبدأ ببيع بعض الحاجات المنزلية.. مرّ عام والأمور بخير، العمل، الكلام الجميل، والتعاون، كل شـــيء يســـير بأفضل ما يكون..

تفاجأنا به يوماً يدفع جزءاً من أغراضـنا ليضـع حاجاته بدلها، ثم يشـير لنا بأصـبعه إلى كسـر في خرسـانة إسـمنتية خلفنا.. بمعنى أنَّ هذا هو حدود مكان عملكم.. في اليوم التالي أحضـــر معه زوجاً من القضــبان المعدنية وثبّتها في الأرض بيننا وبينه، ليحدّد مكان عمل كل واحد منّا...

عندما نظر أبي إلى فعلته، أدرك أنه لعام كامل كان يوسّع مساحة تجارته إلى أن أصبحت ضعف ما وهبه أبي.. واليوم ينظر لنا بعين تحذّرنا وتقول: صباح الخير يا جاري، أنت بدارك واني بداري...

في المستقبل.. حافظ على حدود بيتك ومكان عملك.. فلو أعطيت متراً اليوم.. فلن تستطيع استرداد شبراً بعد مدة من الزمن...

إن قصصَ وتجارب كلّ شخص مع مَن سرقه واحتال عليه كثيرة جداً.. ولن تنفعك إلا بالشيء اليسير.. فالأمر يعود إليك وإلى مستوى حذرك..

سيأتيك المحتال بوجه طيّب، ولا بدّ من ذلك.. وإلا كيف سيجذبك إليه.. وكيف تغري نفسك وتتقرّب إليه، أكثر مما يتقرّب هو إليك.. بعض من الحيوانات الملوّنة بألوان زاهية ومميزة بين جنسها، وتختلف عن أصحابها، هي سامة جداً.. وعليك الحذر منها..

الضفدع الأحمر الملون.. يتميز هذا الضفدع بالبقع الحمراء الموجودة على جلده، وهذه البقع هي مصدر السمّ، والذي يُعتبر سلاحه الوحيد الفتّاك..

الأخطبوط الجميل الأزرق الحلقات، الذي يعيش على سواحل أستراليا وفي بعض مناطق جنوب شرق آسيا، يحمل سمّاً عصبياً قادراً على

قتل شخصٍ في غضون بضع دقائق.. لدى هذا الأخطبوط ثلاثة قلوب.. ومعها عدة أيدي ومئات المجسّات الماصة، حتى إذا أمسك ضحيته لن تفلت منه مهما حاولت..

والمحتال سيأتيك بأحلى الالوان، وألطف الكلام، وأطيب الأفعال وعدّة طرق، وفي كلّ طريق عدّة خُدع، لتنجذبَ إليه.. فيأخذ منك أكثر ما يستطيع.. ويسلبك أكثر ما يمكنه حمله...

فالأمر يعود إليك، وإلى مستوى حذرك...

على الأقل كنْ مثلَ هذا الغراب...

يُقال أنَّ غراباً أوصى ابنه فقال له: يا بنيّ، إذا رأيتَ شخصاً ينحني إلى الأرض.. فاعلم أنه يريدُ أن يلتقطَ حجراً ليضربك به.. فعليك أن تطير على الفور.. فأجابه ابنه: هذا صحيح يا أبي.. ولكن ما قولك باللي شايل حجاراتو بعبّو . . . عندما سمع الغراب الأب هذه الإجابة من ابنه.. اطمأن قلبه، لأنَّ ابنه شديدَ الحذر... فابتسم قائلاً: اذهب يا بني، فلن أخاف عليك بعد اليوم...

وأصبح قول الابن، (شايل حجاراتو بعبّو) مثلاً شهيراً، تناقلته الألسن عبر الأجيال، للتعبير عن شدّة الحذر...

فكن حَذِراً لأنَّ الوقايةَ خيرٌ من العلاج.. وكما يقول المثل؛ أمِّن دارك، ولا تُخوِّن جارك.. وكمثال بســـيط على هذا، وزّع أموالك في جيوبك، لتفقدَ جزءاً منها فقط..

وكما قلت لك يا ولدي الحبيب، السعيدُ من اتّعظ بغيره...

لأن الذي يُســرق مرّةً واحدة يكون في أمانٍ.. أمَّا الذي يُســرق مرتين، فإنه سيُسرق كثيراً ...

يخونُك صديقُك ويسرقُك الغريبُ

ومَن يجلس بينهما ينتظر الفرصةَ ليمدَّ يده ..

العائلة ...

يمكنك أن تتخيّل هذه الحياة على أنها لعبة.. تتكوّن من خمس كرات، تتلاعب بها في الهواء كما يفعل البهلوان، محاولاً ألّا تُسقط أيّاً منها على الأرض.. هذه الكرات الخمس هي أنت والعمل والصحة والعائلة والأصدقاء..

لن يطولَ بك الحال قبل أن تدركَ أنَّ العمل عبارة عن كرة مطاطيّة، كلما وقعت قفزت إليك مرّة أخرى.. أمّا الكرات الأخرى فهي مصنوعة من الزجاج، إذا سقطت إحداها فلن تعود إلى سابق عهدها أبداً.. وستصبح إمّا معطوبة أو مجروحة أو يصيبها شرخ، أو أنها تتناثر إلى شظايا مكسرة...

☆☆ ☆☆

أهميّة العائلة بالنسبة إليك هي نفس أهميّة العصي التي تُستخدم في مشدّ الظهر، إنهم سندك على طول الزمان.. يمسكون تفاصيل حياتك فقرة فقرة، ويحاولون إبقاءها مستقيمة قدر الإمكان.. يفعلون هذا بشتّى الطرق.. بالنصح والمساعدة والتضحية والمال..

مهما تعب الإنسان ومهما كانت الحياة بائسة ومؤذية في الخارج، فالمهمّ أن يكون البيت والعائلة بحالة جيدة.. لأن ما حدث في الخارج من متاعبَ وهموم سيتمّ نسيانها عند دخولك المنزل والضحك مع العائلة واللعب مع الأطفال...

افرح وامرح بصحبتهم وأنت أعزب، فعندما يبدأ موسم التزاوج ستتفكّك هذه الرابطة، وتصبح من الأشياء التي عفا عليها الزمن.. وستعلم يوماً أنّه لن ينفعك أو يسندك أو يعينك وقت الشدة والمصيبة.. إلّا أخوتك ووالداك...

ربما تشعر ببعض الإجحاف أو التعسّف لأنك الأصغر بين أخوتك، وتتلقى التوبيخ والمصروف الأقل وبعض الضرب في صغرك.. بينما أنت تربح العِبر من عثراتهم، وتتعلّم الدروس من أخطائهم، وهذا يساوي سنيناً من الخبرة، تجدها أمامك بلا مقابل...

عليك أن تكون ممتنّاً لهم، مستشعراً قدر فضلهم عليك.. أسبغ على عائلتك وأخوتك فعل الخير، ولا تنتظر ردَّ الجميل ومقابلة المعروف بالمعروف، لأن هذا مع الغرباء فقط...

ولا تتحدّث بانزعاج أو سوء مع أي فرد من عائلتك أمام الناس.. ولا تسمح لأيّ شخص أن يتحدّث عنهم بسوء.. أو يظهر بعض عيوبهم (حتى لو كان محقّاً) . . أسكته بقوّة، لأنه لا يحترمك...

كلُّ هذه المواقف سوفَ تُصبحُ ذِكرياتٍ
فلنجعلها ذكرياتٍ جميلَةً ...

الشَّجرةُ الّتي تغفو تحتَها ...

في غابةٍ على أطراف المدينة كانت توجدُ شـــجرةٌ خضـــراء جميلة، لها أغصـــان طويلة وكثيفة، وأوراق تميل بلطف مع الهواء.. تأتي إليها الطيور من أماكن بعيدة، كانت شـــجرةً جميلة وســـعيدة.. ارتبطت بعلاقة خاصّـة مع ولد صـغير، حيث كان يأتي إليها يوميّاً بعد المدرســـة يأكل من تفاحها ويلعب معها، وكانا يتحدثان لســـاعاتٍ وســـاعات، واعتاد أن يشـــاركها في كلّ شـــيء، أفكاره وخططه المستقبلية..

كانت الشـجرة تُنصـت إلى الولد وتضـحك معه، وكانا يتفهمان بعضـهما فتوطّدت علاقتهما، وكان يصـنعُ من الأوراق تاجاً ويتظاهر بأنه ملك، ويتسـلقها لكي يتأرجحُ على أغصـانِها، ويقول للشـجرة أنت محظوظة فلديك أجمل منظر، غروب الشـمس والماء البرّاق والنسـيم، فلا عجب أنك سـعيدة، أتمنى أن أعيشَ هنا.. فقالت له الشـجرة: الماء والشـمس والنسـيم هنا دائماً، ولكني أشـعر بالسـعادة لأنّكَ معي.. كان الولد يتحدّث لساعاتٍ مع الشجرة.. وبعد حديثه ولعبه اعتاد أن يستريح في ظلّها..

مرَّ الوقت وكبر الولد وأصـبح له أصـدقاء جدد، فانشـغل عنها وقلّت أوقاته مع الشـجرة، اعتزّت الشـجرة بلحظاتها القليلة معه.. توقّف الولدُ تدريجياً عن زيارةِ الشـــجرة، وظلّت هي وحيدة بانتظار أن تراه ثانية..

وفي يوم جاء الولد لزيارتها، كانت الشـــجرة ســـعيدة به ودقّ قلبها في كل خطوة يخطوها نحوها، وحين اقترب نادت عليه الشـــجرة فقالت له:

- مرحباً بك، تعال وتسلقني وتأرجح على أغصاني ..
- لقد كبرت على التسلق والتأرجح ..
- أترى منظر الغروب لطالما أحببته !
- أنا منشغل جداً، أريد أن أشاهد العالم ..
- لماذا تبدو حزيناً ؟
- أنا أحتاج المال، هو الشيء الذي يجلب السعادة ..

فلم ترغب الشـــجرة في رؤيته حزيناً فقالت: هيا خذ تفاحي واذهب لبيعه في السوق وستحصل على المال.. فتسلّق الولد الشجرة وجمع كلّ التفاح وذهب.. شـعرت الشـجرة بالسـعادة لمسـاعدة الولد، ولكنها حزنت لابتعاده عنها طويلاً . . .

مرّت الأعوام.. والطيور تأتي لتغرّد أغانيها وترحل، والشجرة واقفة وحيدة على حافَّة التل تنتظر أن يأتي الولد لزيارتها.. وفي يوم عاد الولد ثانية، فاهتزّت الشجرة من السعادة وقالت:

- مرحبًا بك تعال وتسلّقني !

- ليس لدي وقت، لقد تزوّجت وأصبح لدي زوجة وأطفال ..
- لقد كبرت حقاً، لما لا تبدو سعيداً أليس هذا ما أردته ؟
- أشعر بالقلق، سأكون سعيداً إذا بنيت منزلاً لأسرتي ..
- ليس لدي منزل، ولكن لدي أغصان يمكنك أن تقطعها وتصنع منها منزلاً لك، فتصبح سعيداً..

تسلّق الولد الشجرة وقطع جميع أغصانها وأخذها . . . مرت الأعوام ولم يأتِ الولد لزيارة الشجرة، ولم تصبح قادرة على محادثة الطيور التي أصبحت تطير بعيداً عنها..

كانت دائماً تسأل العصافير عن الولد وتحدّثهم عنه.. فكبرت الشجرة وحيدة واقفة على التل تحاول البحث عن الولد، فشاهدت المدينة تتغير والمروج الخضراء تختفي، وتظهر مكانها الطرق والمباني.. حزنت الشجرة لأنها أصبحت وحيدة، ولكنها مازالت تنتظر الولد بشوق..

وذات يوم عاد الولد لزيارتها وقد أصبح رجلاً كبيراً الآن، بدا عليه الحزن، وجلس مستنداً على الشجرة وهو يبكي.. تأثّرت الشجرة ببكاء صغيرها، ولكن لم يعد لديها أغصان لتطلب منه أن يتسلقها وينسى أحزانه، فقالت:

- ماذا ألمّ بك ؟
- تركتني زوجتي، وأولادي لا يهتمون بي، لم يعد هناك من يحبني ..
- أنت تبحث دائماً عن السعادة، عليك أن تنتظر وستأتي إليك ..
- لا سعادة هنا.. يا ليتني أبني مركباً وأبحر عن هذا المكان ..
- وهل سيسعدك هذا ؟
- نعم..
- أقطع جذعي واصنع لك واحداً وأبحر به بعيداً ..

أحضر الولد أدواته وقطع جذع الشجرة وبنى مركباً، كان يبدو سعيداً وشعرت الشجرة بالسعادة من أجله، وراقبته وهو يبحر بعيداً عنها.. شعرت بالحزن لفراق الولد تماماً، وأصبحت مجرّد شيء على حافة النهر..

مرّت الأعوام ولم تصبح الشجرة قادرة على رؤية المباني والتلال، فلم تعد إلا قطعة خشبية على الأرض.. افتقدت الطيور ومنظر البراعم الخضراء والإحساس بالراحة، وأكثر من كل هذا افتقدت الولد.. وأخيراً عاد الولد للشجرة بعدما تغيّرت المدينة كثيراً.. اختفت الطبيعة وامتلأت بالمباني، وأصبح الولد عجوزاً، قالت له الشجرة:

- لقد عدت ! أنتظرتك طويلًا جداً ..

- الأشـــياء تختفي، والمال يزيدنا عناء.. إلى أي مدى يخطئ الإنسان، يبحث عن الشقاء وينسى الحنان والهناء ..

لم ترد الشجرة، فلم يعد هناك ما يقال..

جلس الولد على الشـــجرة المقطوعة وشـــاهد الشـــمس وهي تغرب، وشـعر بالنسـيم الرقيق.. ثم تحدّثا عن الحياة وكيف تغيّر العالم حولهم.. حكى الولد قصـــته للشـــجرة.. كانت تنظر إليه والفرحة تملأ عينيها.. لا تقاطع كلامه.. لا توافقه ولا تعارضـــه.. المهم أنه كان يجلس أمامها.. تخاف أن تطرف عينها فيختفي.. كأنهما وحيدين في فراغ لا متناه..

لقد شعرت بالسعادة لعودته . . . إنها الأم.. أجمل شجرة في الحياة...

سُـــئل رجلٌ عن أجمل أيام حياته فقال: عندما كنت في بطن أمي، أتغذّى وأشـــرب وأنام ممدّداً.. وما إن خرجت وأنا في تقلبات الحياة.. ولم أرَ راحةً تشبهها قط...

المرأة الأمريكية روز ماري كان عمرها خمسين سنة تقريباً، اتُّهمت بقتلِ رجل، أصـــرّ المحامي أن ابنها هو القاتل.. فهو جنديّ بحريّةٍ وشـــابّ قوي، وأن أمّه امرأة كبيرة لن تســـتطيع ارتكاب هذه الجريمة حتى لو أرادت ذلك.. وبعد تحقيق طويل معها قالت: أنا المذنبة.. المهم اتركوا ابني وشأنه...

فمهما فعلت.. لن تُوفِي حقّ تضحيتها ...

ولا تستغرب تغيّرها، فقد تغيّر كل شيء من حولها.. وفقدت أغلى ما ملكت يوماً، فقدت زوجها، وابتعدت بناتها عنها، ثم تركها أبناؤها الواحد تلو الآخر، وربما لم يبقَ لها إلا أنت.. وأخيراً فقدت صحّتها التي نست أن تحتفظ بها، لأنها انشغلت بكم جميعاً.. بل كانت تملك شيئاً جميلاً وهو حاجتكم إليها، وهربكم إليها.. فقدت بكاءكم بِحِجرها.. فلا تملّ شكواها، فليست هذه هي الحياة التي أرادتها...

الأم هي الشخص الوحيد التي تبكي عليها حناناً وهي معك في هذه الحياة.. وتخاف أن تتصل بها، فيرد عليك شخصٌ آخر..

☆☆☆

صديق كردي من خانقين في مدينة ديالى، خاصمته أمه وتركت البيت وذهبت غاضبة لبيت أخيه.. بحث عن طريقة ليرضيها ولكن دون جدوى.. وبعد نقاش طويل توصّل هو وزوجته لحيلةٍ جميلة يسترجع بها أمه.. فذهب كلٌّ منهما لبيت أهله، واتصل بأمه يقول: إن البيت بدونك لا يُطاق، وقد تركناه فارغاً ولن نسكنه بعدك.. استمر الزوجان على هذا الحال كلٌّ في بيت أهله، والزوج يتوسّل أمه للعودة.. حتى رجعت لبيتها فرحة لمكانتها عند ابنها..

طائر الكاسواري (الشبنم) هو طائر ضخمٌ لا يطير، ويعتبر ثاني أكبر طائر في العالم بعد النعامة.. يبلغ وزنه ما يقارب ستين كيلوجراماً.. يملك ثلاثة مخالب قوية في كلّ قدم، أطولها يبلغ ثلاثة عشر سنتيمتراً.. ركلة واحدة من هذا الطائر تستطيع أن تمزّق اللحم،

وتوقف وظائف جسدك أو تكسر أضلاعك.. أما إذا ضربك بمنقاره الحادّ فإنه يخترق جسدك كسكينٍ حادّ...

هذا الطائر الضخم لا يستطيع الطيران، ولا يخاف من المفترسات، عدائيّ وغريب ومتقلّب المزاج، خصوصاً إذا شعر بأنه مُحاصر، وهو خطر جداً.. بعد التزاوج تضع الأنثى البيض بجانب أي ذكر تقابله وترحل.. ليقوم الذكر بحضانةِ البيض تسعة أشهر حتى تفقس.. ويربي الصغار ويطعمهم حتى يكبروا.. وتتكرّر دورة الحياة بلا حنان الأم ورعايتها... وربما هذا هو سبب كونه عِدائيّاً وخطراً وقاسي الطباع..

☆☆☆

كان أبي يضربني.. وكانت أمي تنقذني منه.. فقلت في نفسي: ما الذي سوف يفعله أبي إذا ضربتني أمي ذات يوم؟؟.. لكي أرى ذلك عصيتُ أمي حين قالت لي اجلب حليباً من السوق.. فلم أذهب.. وحين جلسنا للغداء وضعت في قصعتي قليلاً فطلبت منها أن تزيد.. وأمرتني أن أجلس على كرسيّ صغير وأتناول طعامي ولكنّي فرشت على الأرض وجلست.. وأوسخت ملابسي عمداً وتحدّثت معها بلهجة فظّة.. كنت أتوقّع أن أمّي سوف تضربني لا محالة.. ولكن الذي حصل أنها حضنتني بقوة وقالت: يا ولدي ما بك؟؟ أمريض أنت؟؟.. حينها انسابت دموعٌ غزيرة من عيني.. لم أستطع أن أكفكفها...

مقتطف من كتاب "المصباح الترابي" للكاتب "أديب مرزا"..

الأم... هي كنز عظيم وأنت لا تُقدّر قيمتها، لأنها عندك من المُســـلَّمات.. أو لأنها لا تهتم لمكانتها في قلبك، بقدر اهتمامها لتزيد مكانتك في قلبها.. ضُـمّها في حضـنك وقبّلها كثيراً وكأنها طفلتك، لأن دعاءها كنز ثمين.. إنها الأم التي قالت عنك: كنت أنتظر بشـــوق أن يضربني في أحشائي، حتى أطمئن أنّه بخير..

إنها الأم.. التي تسأل عنها عند دخولك البيت مباشرة، حتى إن كنت لا تريد منها شيئاً.. تسأل عنها فقط لتطمئن أنّها موجودة..

فلا تنسَ الفضـــل لمن أعطاك أغلى ما عنده، وتمنى أن يملك أكثر ليزيدك...

الآن.. لو ســألتك.. من علّمك القراءة والكتابة ؟ هل ســتتذكّر غيرها..

في الغالب ستكون هي..

أو أنّها علمتك بمساعدة هذا الشخص..

الأم .. ضحكتها أمان

وفي حضنها تهدأ الروح

لن تَعرفَ قَدرَه ...

ينظر من زجاج النافذة الخلفية.. إلى لا شـــيء.. ثم ينكس رأسه.. يمسك في حُجره أغلى ما ملك يوماً .. و يتحسّسه جيداً براحتي يديه .. مع ذلك لا يبدو ســـعيداً .. الخطب في ما يحمله .. إنه هادئ تماماً .. لم يره هادئاً إلى هذا الحدّ منذ ولادته .. إنه ابنه الصـــغير .. يدقّق في ملامح وجهه... مغطاة .. لكن هذه القطعة البيضـــاء لا تمنعه من رؤية تلك الملامح الصغيرة الجميلة التي طالما أَسَرته .. كأنه يملك تلك الأشعة التي تسمح له بالنظر من خلال الأشياء..

ينظر إلى عينيه المغمضـــتين .. حبتي العنب .. قبل يومين كان يرى وجهه مبتســـماً داخلهما .. يمســـح خديه المكتنزين .. يتذكر كيف كان يتغيّر لونها كلما ضغط بإصبعه .. لتبقى بصمته قد تجمع الدم تحتها .. يمسِّد أنفه بسبابته .. ذلك النتوء الصغير .. الذي يعتبر زرّاً للابتسامة .. أو زراً للعطاس إذا ضـــغطت عليه أكثر من مرّة .. يُدني جانب إصبعه الصغير ليلامس فمه .. يتمنى أن يعضّه ويطبق عليه بكل قوة .. ويصـــدر تلك الزمجرة التي تجعل القلب ينبض خوفاً .. يتمنى أن يحدث كل ذلك مراراً .. تنعطف السيارة فتسمح لشمس الصباح أن تقبّل وجه الطفل النائم .. توفي قبل الفجر بســـاعات .. الآن يأخذه إلى المقبرة .. ليودّعه هناك .. يرفع يده ليحجب أشعة الشمس .. إنها تؤذي الصغير .. يتخيّل أنها سوف توقظه .. سوف تُزعج نومه .. يريد أن يحميه كما وعده .. يحميه لآخر لحظة من حياته ..

إذا سمعت عن شخص لا يُعرف قدرُه إلا بعد موته... أو شخص لم يسمع كلمة حنان، لأن المقابل يظنّه قوياً لا يحتاج مثل هذه الكلمات... إذا سمعت أن شخصاً ضاعَ حقه في هذه الحياة ... فاعلم أنّه الأب ...

الأب أنفق عليك أغلى ما في هذه الحياة.. أنفق عليك المال.. الذي هو أغلى من الدماء.. جمعه وأعطاه لك عن طيبِ خاطر...

انظر إلى والدك بفخر، لأنه الشخص الوحيد في العالم الذي يتمنى أن تصبح أفضل منه...

كان أبي يعمل موظفاً في شركة مصافي الوسط (مصفى الدورة).. كل يوم ينتهي عمله في السابعة صباحاً، وبدلاً من أن يعود للبيت ليستريح، كان ينتظرنا في موقف السيارات التي تُعيد الموظفين إلى أماكن سكنهم المتفرقة في بغداد.. نذهب للعمل في الشورجة (أكبر مجمع تجاري في العراق) يمر بنا الباص على طول الطريق بمناطق الدورة، والسيدية، والبياع.. ففي ذلك الوقت لم يكن جسر الطابقين قد تم إنشاؤه بعد، ليختصر كل هذه الدورة الطويلة.. ثم نمرّ من أمام منتزه الزوراء، وكراج العلاوي، ومحطة سكك بغداد الرئيسية، وإلى جسر السنك فوق نهر دجلة..

على طول الطريق كان أبي يزيد مهارتي في القراءة بالإشارة إلى اللافتات، وأقوم بقراءتها ليصحّح لي ما أخطأت فيه، كانت هذه لعبتنا اليومية بلا كلل أو ملل.. وأخيراً نصل إلى مكان عملنا سوق

الشـــورجة، لنبيع فرش ومعجون الأســـنان بأنواعه، وبنفس الأســـماء الموجودة اليوم بعد ثلاثين عاماً (كلوس آب و ســـيجنال و....) نبيع أيضـــاً أمشـــاط الشـــعر، ومناديل الجيب التي تُصـــنع من القماش، بلون حليبيّ يشـــبه لون لب الموز، وخطين على الجانب بلون بني غامق، أحدهما يكون رفيعاً والآخر بسـمك الإصـبع، أو يسـتبدل البني الغامق بلون أزرق.. كان هذا النوع من المناديل لا يفارق الرجال في ذلك الوقت، أمّا اليوم فهو شبه منقرض..

يعمل بجانبنا بعض الباعة من الهند والصـــين، مجرّد النظر إليهم كان تســـلية ومتعةً لنا وللمارّة، كان البعض منهم ماهراً يصـــنع ويبيع الألعاب وأشـــياء أخرى أمام أعين الناس.. يحضـــر قطعة من القصـب ويربط بها طبلاً صـغيراً بحجم قرص الفلافل، ويصـل أطرافه إلى القصـبة بعودين من الخشـب، ويشـدّ عوداً آخر برباط من المطاط، ويبيعه للأطفال ليسـتمتعوا بسـماع الصـوت الذي يصـدره نقر العود الصـــغير على الطبل، يدق عالياً كلّما حركه الطفل بعكس اتجاه عقرب الساعة..

في تلك الأيام كان يأتي السـائحون من دول عديدة، كنّا نميّزهم من لغات لا نفهمها، واختلاف البشـرة، والعيون الملوّنة.. أكثر ما يميز المكان هو الصـخب والصـياح والضـوضـاء، تخربش طبلة الأذن بدون توقّف.. تُسمع من بعيد، تصـلك قبل أن تصـلها.. إنها خليط من مزامير ومحركـات السـيـارات المزدحمـة، وأصـــوات البـاعـة معلنين عن بضائعهم،

وصـــياح أصـــحاب العربات محذّرين الناس ليبعدوا أصـــابع أقدامهم عن طريق العربة.. وضجيج أصحاب الأطعمة السريعة واللبن وشراب الزبيب والبلنكو.. وأطفال يبيعون الأكياس أو يساعدون الناس في حمل أمتعتهم، ليحصلوا بالمقابل على قطعة نقدية..

في كل لحظة تداعب أنفك نفحة هواء مختلفة عن ســـابقتها، نسمة من نسمات بغداد، الممزوجة بعطر البهارات، وعطر المكسرات القادمة من الشـــورجة القديمة، وعطر المنظفات القادم من شـــارع الجمهورية، وكل ما يُباع في داخل الشـورجة.. فهناك يُباع كلُّ شـــيء بلا استثناء، حتى الحيوانات على تنوّعها تُباع في سوق الغزل (ملتقى أهل بغداد، والكثير من شـــباب المحافظات) يتوافدون يوم الجمعة ويكرّرون العودة كل أسبوع، بانتظام،، يشبه دورة دولاب الهواء..

نعمل وأبي لوقت العصـــر ثم نعود بعد يوم مجهد، أعود نائماً في (التاتا) الحافلة التي تتّسع لأربعة وأربعين راكباً، كانت توجد بكثرة تلك الأيام.. أغفو بالرغم من صوت المحرك وصخب الركاب وصوت -السِّـكِنْ- (الشـاب الذي يجمع الأجرة، وينادي للسـائق بالتوقف، لينزل أحد الركاب أو يصـــعد) ويرصّ الركاب لتتســع لأكبر قدرٍ من الناس، كأنهم حبات الجزر التي تُرتب في الأكياس.. يومياً على هذه الحال حتى نصـــل، ويوقظني السِّـكِنْ لأنها نهاية الرحلة الطويلة المعتادة، لا شيء جديد لأراه فهذا طريقنا لسنين طوال..

بعد كل هذا العناء والعمل، يعود أبي ليستحم ويصلي ونتناول الطعام سوية.. ثم يأخذ قسطاً من النوم الذي لا يريح شرايين عينيه، ولا يرخي عضلات جسمه، ولا يصفي عقله من هموم الحياة.. ولكنه بحاجة لهذه السويعات القليلة من النوم، لأن الساعة السابعة ستأتي بعد قليل، وهو موعد الذهاب للوظيفة مرّة أخرى... رحمه الله، لم يشتكِ يوماً من العمل المستمر، بل كان يحتضنني مبتسماً، حين تسير الحافلة مسرعة تمنعني من إتمام قراءة اللافتة....

كل مرض فيه.. يزعجك صوته وأنينه.. كل هذا سببه أنت وأخوتك، وابتسامتكم.. فالأب كان يحرم نفسه من كل شيء لأجل عائلته، حتى البكاء . . . الأب لا يُعرف قدره الحقيقيّ إلّا بعد موته.. الولد الذي مات أباه وتركه صغيراً.. ما إن يصل إلى أولى مراحل شبابه حتى يواجه مصاعب الحياة، ويخوض التجارب بنفسه.. ينجح في واحدة من عدّة تجارب في كلّ مرة.. لا يوجد ذلك القائد الذي يسير أمامه وهو يتبع خطاه، لا يجد من يتحمل نتائج فشله، ويعوّض خسارته المادية، ويمدّ إليه يده ليقف من جديد ويستمر . . .

الأب هو أكبر فرصة ومشروع في حياتك، بإمكان نصيحة واحدة منه أن تجعلك من الأثرياء.. ونصيحة أخرى لتنجو من أخطر وأسوأ خطوة تنوي القيام بها . . . فإذا ذهبت الأم جاعوا، واذا ذهب الأب ضاعوا ...

وكما قيل: إنّنا لا نبكي الميت لذهابِه عنا، وإنما لبقائنا دونه...

وياليتنا عوّضناه بالقليل، أو استقبلناه بهدية صغيرة، ورسمنا ابتسامة على هذا الوجه الذي تركت متاعب الحياة آثارها عليه بقسوة.. أو على الأقل نتعاون معه في شراء القليل من حوائج البيت.. مع إنه لا يحتاج للمال، ولكن إنفاق قليل من مالك يساوي عنده الملايين..

أحد أقربائي اشترى براتبه الأول بعض الخضراوات والفواكه، الفرحة في عين الأب لا تُوصف، حين دخل ابنه يحمل الأكياس.. كلفت الابن جزءاً يسيراً من المال، ولكنها توحي إلى الشعور بالمسؤولية من وجهة نظر أبيه..

الأم تحملك داخل رحمها تسعة أشهر، والأب يحملكم جميعاً باقي العمر..

الأم تبكي إن مرضت.. والأب يمرض إن بكيت ...

الأم تتأكد أنك لست جائعاً.. الأب يعلمك ألّا تجوع ...

الأم تحملك على صدرها.. والأب يحملك على ظهره فلا تراه...

الأم تحمل عنك المسؤولية.. الأب يزرعها فيك ...

الأم أمٌّ للحنان.. والأب أبٌ للحكمة ...

فالأم.. لا تُقدّر بثمن ... والأب.. لن يكرّره الزمن ...

الأشـــياء التي لا تعود تكون أغلى.. ومنها الأب، إذا ذهب لن يعودَ أبداً.. عليك أن تدرك ذلك قبل أن تخسـر أشـخاصـاً، لا يمكن أن تتكرر فرصـــة رؤيتهم.. وليس من ضـــمنهم الأبنـاء، فهم يولـدون بسهولة.. وليس الأزواج أيضاً، فيمكنك الزواج متى شئت...

☆☆☆

"لم يكن أبي يفعل شــيئاً فلماذا افتقدته إلى هذا الحدّ ؟.. عندما كنت صـــغيرة بدا لي أنَّ الأب مثل مصـــباح الثلاجة.. ففي كلّ بيت مصـــباح في الثلاجة.. لكن لا أحد يعرف تماماً ماذا يفعل حين ينغلق باب الثلاجة.. كان أبي يغادرُ البيت كلَّ صـــباح وكان يبدو ســـعيداً برؤيتنا ثانية حينَ يعود مساءً.. كان يفتحُ سدادة قارورة المخللات على المائدة حين يعجزُ الجميع عن فتحها.. كان الوحيدَ في البيت لا يخشـــى النزول بمفرده إلى القبو.. كان يجرحُ وجهه وهو يحلق ذقنه، لكنَّ أحداً لم يتقدّم ليقبّله أو يهتم بما حصـــل له.. حين يمرض أحدنا نحن الأولاد كان هو من يذهب للصيدلية لإحضار الدواء.. كان دائماً مشغولاً.. كان يقطع أغصان الورد في الممر لباب المنزل ليومين ويعاني من وخزات الأشـواك ونحن نسـير للباب الأمامي للمنزل.. وهو الذي كان (يزيت) عجلات مزلاجي كي تجري على نحو أسرع..

وحين حصلت على دراجتي الهوائية كان هو الذي يركض إلى جانبي، وقطع ألف كيلومتر على الأقل قبل أن أســـيطر عليها وحدي

وأتعلم القيادة.. هو الذي كان يوقّع بياناتِ علاماتي المدرسية.. وقد أخذ لي صـــوراً لا تُحصـــى من دون أن يظهر في واحدة منها.. وهو الذي كان يشـــدّ لأمي حبال الغســـيل المرتخية.. وكنت أخاف من آباء كل الأولاد إلا أبي لا أخاف منه.. أعددت له الشـاي ذات مرة وكان عبارة عن ماء فيه ســكر بدون شــاي، ومع ذلك جلس في المقعد الصــغير.. وأخبرني أنه كان لذيذاً، وبدا مرتاحاً جدّاً...

وعندما كنت ألهو بلعبة (البيت) كنت أعطي الدمية الأم مهمات كثيرة، ولم أكن أعرف ماذا أوكل من الأعمال للدمية الأب، لذلك كنت أجعله يقول: إنني ذاهب للعمل الآن، ثم أقذف به تحت السرير..

وذات صباح عندما كنت في التاسعة من عمري لم ينهض أبي ليذهب إلى العمل.. ذهب إلى المســـتشـــفى.. ووافته المنية في اليوم التالي.. ذهبت إلى حجرتي وتلمّســـت تحت الســـرير بحثاً عن الدمية الأب، وحين وجدته نفضت عنه الغبارَ ووضعته على الفراش.. لم أكن أتصــوّر أن ذهابه ســيؤلمني إلى هذا الحدّ.. لكن ذهابه لايزال يؤلمني جدّاً حتى الآن وأفتقده"... كاتبة وصحفيّة أمريكية ..

وأقول لك.. إن أكثر شـيء سـتندم عليه، وبلا شـك.. هو أنك خجلت من كلام وأفعال والديك أمام الضـيوف والغرباء.. سـتندم لأنك برّرت تصرفاتهم.. ستندم إذا أحسست بأن الآخرَ أفضل منهم.. ستندم بعدها وتتمنّى أن يعود بك الزمن لتبتسم لأفعالهم فخراً.. تتمنى أن يعود بك الزمن لتموت قبل أن تفعل ما فعلت..

بعد أن يختفي.. سـتفرح لمجرد أنك رأيته في حلمك لجزءٍ من الثانية، وتبقى تتحدّث بهذه الرؤيا لسـنوات بعدها.. لماذا ؟.. ألم يكن أمامك طول الدهر، لماذا لم تفرح بجلوسـك معه ؟.. لماذا لم تكن تفرح بحديثه ؟.. لماذا لم تفتخر بكل ما كان يقوم به ؟ ...

فكن كـالذئب.. يُلقّب (الابن البـار) ربمـا لأنـه الحيوان الوحيد الذي يبرُّ بوالديه، ويسـاعدهما عندما يصـلان مرحلة الشـيخوخة.. يصـطاد لهما ويطعمهما وهما في الوكر، بل إنه حتى يمنع أفراد قطيع الذئاب أن يأكلوا من الفريسة، قبل أن تأكل أمه المسنّة وأبوه...

سُئل الإمام الشـافعي رحمه الله: أيتخاصـم الرجل مع أبويه ؟.. قال: ولا مع نعليهما..

فياليتك تتودّد إليه وتتعامل معه، كما تفعل مع الجار ...

ومع ذلك .. فلن تعرف قدره أبداً أبداً .. إلَّا بعد أن يختفي أثرُه...

الأب .. ظِلَّهُ أمان ..

نصفك الرائع ...

قالت لـه: لماذا كلما أردت أن تهديني باقة زهور،، أخفيتها خلف ظهرك ؟.. ردَّ عليها: كي أفاجئ الزهور ...

لا تنسَ أنها كانت يوماً حلماً بالنسبة لك.. انظر إليها.. اجعلها تلتفت وتصطادك وأنت غارق في النظر إليها.. املأها إحساساً بأنك ربحتها.. بأنك تتمنّاها.. لأنّها تستحقّ ذلك...

كان هناك رجلٌ متزوج ولديه خدم، وفي يوم من الأيام خرجت زوجته إلى الحديقة فوجدت أحد الخدم جالساً يبكي، فقالت له:

- ما الأمر !
- طردني سيدي..
- لماذا ؟
- كسرت آنية من الزجاج بلا قصد..
- تعال معي إليه.. فذهبا معاً، وحين وصلا، قال الزوج للخادم:
- لماذا عدتَ مجدّداً ؟ قالت الزوجة:
- أنا أحضرته..
- وما شأنك أنتِ ؟
- هذا ظلمٌ وجور..
- حسناً، سيعود بشرط أن تذهبي أنتِ إلى أهلك، فإمَّا أنتِ أو هو..

- موافقة..
- وخذي معك أعز ما تملكين.. وغداً تذهبين..

وحين خيّم الظلام خدّرت زوجها وأخذته معها إلى أهلها.. فلما استيقظ في الصباح وجد نفسه في بيت أهلها، فقال:

- أين أنا ؟ ومن أتى بي إلى هنا ؟.. فأتته زوجته وقالت:
- أنا من أحضرك إلى هنا !
- لماذا ؟
- أنتَ قلتَ لي خذي أعزّ ما تملكين، وأنت أعزّ ما أملك..

فابتسم لها، ورجعا معاً...

☆☆☆☆

إنها تحب الاهتمام.. بل إنّ الاهتمام أهمّ شيء بالنسبة لها، تريد أن تكون مرغوباً بها، تريد أن تكون موضع اهتمامك، تريد أن تهرب بك بعيداً عن كلّ شيء حتى لا ترى غيرها.. تتمنّاك أوّل من يهنّئها وأوّل من يعطيها هدايا الأعياد.. تتمناك أوّل من يفرح بنجاحها ويقف معها في عثراتها..

إنها تلك البريئة التي تختبِئ خلفك عندما تخجل.. وتتشاجر معك عندما تغضب.. تتشاجر معك إذا لم تُحضر لها ما تريد بأسرع ما يكون.. فهي تعلم ألّا أحد غيرك يتحمّل أخطاءها، وانفجار مشاعرها، وبكاءها وعنادها..

تمشـي معك مطمئنةً، وتنتظر مجيئك من العمل كطفلة لتُحدّثك بما مرّ بها طول اليوم، تُحدّثك بلا توقّف غير مبالية بما يملأ عقلك من الهموم...

يُزعجك هجومها على الحبوب التي تظهر في جسـدك، تقلّبك وتعثر عليها لتعصرها وتفجّرها.. وتكشط آثارَ الجروح المتيبّسة.. حين كانت في المطبخ تعدّ لك الطعام، لسـعت المقلاة أطرافَ أصـابعها، كانت تأتيك تحدق بك كأرنب صـغير لتسـحب يدها، وتقبل أصـابعها ليزول الألم..

إنها طفلتك الصغيرة، نافسها بألعاب لطيفة تشعرها بحبّك لها.. وعندما تلبس شيئاً جميلاً أو تغيّر تسريحة شعرها، ولو وضعت كحلاً لعينيها أخبرها بسرعة.. قل لها أنتِ رائعة، أنت أجمل من الأمس.. قل لها إني أتمنّى ألّا ترمش عيني وأنا أنظر إليكِ...

لابُدّ وأن تجد طريقة لتُظهر حبّك لها.. حاول بالاهتمام، إنه أفضل وأقوى تعبير عن الحب.. إذا كنت لا تعرف!! حسناً.. اصمت ولا تتكلّم، فقط صوّب نظرك تجاهها.. وحين تسألك.. اصمت وابقَ مستغرقاً في النظر إليها، متأمّلاً ملامحَها، حتى إذا عادت عليك السؤال ثلاث مرات، حينها لا بُد أنك قد وجدت شـيئاً أعجبَك، لتخبرها بمدى جمالها، ومدى روعتها...

اكتب لها رسالة حبّ مرّة واحدة في العام.. وأعطها هديّة كلّ موسم.. ولا يهمّ ثمنها، لأنك تستطيع إدخال السرور لقلبها بقطعة شوكولاتة، أو أحمر شفاه، أو حتى كيس صغير من الفول السوداني.. وتجمّل لها كما يعجبك أن تتجمّل وتتزيّن لك...

أمّا الزعل والخصام فلا مهربَ منه.. لا يخلو بيتٌ من مشكلة.. تزداد لمن أراد الانتصار على شريكه، وتصغر إذا أدرك أنّه سببها.. ولا بد أنك جرّبت يوماً إذا تشاجرت مع زوجتك ولم تتصالحا، فإنك ستخرج من البيت حزيناً، وتقضي يومك غارقاً في الهموم، ثم تعود للبيت بوجهٍ عبوس، فيفتح لك الباب وجهٌ حزين، وتأكل صامتاً، ثم تنام على همٍّ يصدّع لك رأسك.. ولو أنك أسعدتها لقضيت يومك سعيداً، ونمت مبتسماً...

ابتعد عن الغضب مع زوجتك وأولادك، وجد حلّاً للمشاكل بكلمةٍ طيبة وتفاهم، ولمسة حنونة.. لأن ما ترفضه اليوم ستوافق عليه غداً، وستندم على فعلتك.. أنتما لبعض، ويجب ان تحل الأمور بينكما فقط.. فكلُّ مشكلة ولها حلّ، ما لم تخرج من باب غرفتكما...

☆☆ فإذا أخطأتَ أنتَ.. كانت لك مثل هذه العجوز... في لقاء مع عجوز أمضت مع زوجها خمسين عاماً ! سُئلت تلك المرأة عن سرّ سعادتها الدائمة مع زوجها كلّ هذه السنين الطوال!! هل هي المهارة في إعداد الطعام ؟ أم الجمال؟؟ أم إنجاب الأولاد ؟ أم غير ذلك ؟ قالت العجوز:

- الحصول على السعادة الزوجية بعد توفيق الله تعالى بيد المرأة.. فالمرأة تستطيع أن تجعل من بيتها جنّة، وتستطيع العكس.. لا تقولي المال ! فكثير من النساء الغنيّات تعيسات، ويهرب منهن أزواجهنّ.. ولا الأولاد ! فهناك من النساء ينجبن عشرة ذكور، وزوجها لا يحبّها وربّما يطلقها... والكثير منهن ماهرات في الطبخ، فالواحدة منهنّ تطبخ طول النهار، ومع ذلك تشكو سوء معاملة زوجها... فتعجّبت المذيعة! وقالت:

- إذن ما هو السرّ ؟..

- عندما يغضب زوجي ويثور كنت ألجأ إلى الصمت المُطبق بكل احترام.. مع طأطأة الرأس بكل أسف.. وإياك والصمت المصاحب لنظرة سخرية فالرجل ذكيّ ويفهمها...

- لماذا لا تخرجين من غرفتك ؟

- إياكِ... فقد يظنّ أنك تهربين منه.. ولا تريدين سماعه.. عليكِ بالصمت والموافقة على جميع ما يقوله، حتى يهدأ.. ثم بعد ذلك أقول له: هل انتهيت؟؟ ثم أخرج.. لأنه سيتعب ويحتاج إلى الراحة بعد الصراخ.. فأخرج من الغرفة، وأكمل أعمالي المنزلية.. هنا قاطعتها المذيعة:

- ماذا تفعلين ؟ هل تلجئين إلى أسلوب المقاطعة.. ولا تكلّميه لمدة أسبوع أو أكثر ؟..

- لا ... فتلك العادة السيئة سلاح ذو حدّين.. عندما تقاطعين زوجك أسبوعاً وهو يحتاج إلى مصالحتك سيعتاد على الوضع.. وربما يرتفع سقف مطالبه إلى حدّ أنه قد يلجأ إلى العناد الشديد.. والعناد صفة مستقرّة وراسخة داخل الرجل..

- ماذا تفعلين إذاً ؟..

- بعد ساعتين أو أكثر أضع له كوباً من العصير أو فنجان قهوة.. وأقول له: تفضل اشرب.. لأنه فعلاً محتاج لذلك، وأكلمه بشكل طبيعي.. فيسألني: هل أنتِ غاضبة؟؟ فأقول: لا.. فيبدأ بالاعتذار عن كلامه القاسي، ويُسمعني كلاماً جميلاً..

- وهل تصدقينه ؟..

- طبعاً أصدقه، لأني أثق بنفسي ولست غبية.. هل تريدين مني تصديق كلامه وهو غاضب، ولا أصدقه و هو هادئ !..

- وكرامتك ؟..

- كرامتي برضا زوجي، وصفاء العشرة بيننا.. ولا توجد كرامة بين الزوج والزوجة.. أي كرامة ! ... وقد تجردّتُ أمامه من جميع ثيابي...

☆☆ وإذا أخطأت هي كن لها مثل هذا الزوج...

جلســـت امرأة تتحدّث مع زوجها بما يخصّ أمور المنزل، وفجأة تحوّل النقاش إلى شجار وتسلّط باللسان.. لم تكن المرّة الأولى، ولكن كانت تختلف عن مثيلاتها في السابق.. وفي حالة غضب طلبت الزوجة الطلاق، إضـــافة إلى بعض الكلمات الجارحة.. فما كان من الزوج إلّا أن أحضر ورقة وكتب فيها "*أنا حسن عادل محمد.. أؤكد وأنا بكامل قواي العقلية أنّني .....!!!* وضع الورقة على مائدة الطعام وخرج بسرعة بدون أن يتلفّظ بكلمة واحدة.. ولكنها سرعان ما شعرت بالذنب لارتكابها هذه الغلطة وتسرّعها في طلب الطلاق.. لقد صنعت لنفسها مصيبة كبيرة.. الآن! أين تذهب؟ وماذا تقول؟ وكيف تمّ الطلاق بهذه السرعة؟..

بعد ساعة عاد الزوج للبيت فوجدها تجلس حزينة تائهة.. على حالها الذي تركها عليه.. فلم يكلّمها، وإنما دخل الغرفة وأغلق الباب.. بعد لحظات جاءت زوجته وطرقت الباب، فردّ عليها بغضـــب: ماذا تريدين؟ قالت بصــوت خائف بالكاد يســمع: أرجوك افتح الباب، أريد التحدّث إليك ثم قرّر بعدها ما تريد...!! تنهّد ثم قام وفتح الباب ليجدها حزينة مكسورة، تسأله أن يستفتي شيخاً بشأن الطلاق، لأنها نادمة على فعلتها، ولم تقصــد ما قالته في لحظة غضــب.. ردّ عليها الزوج: إذن فأنت نادمة ومتأسفة لما حدث؟ فأجابته الزوجة بصوت منكسر وهي بالكاد استطاعت حبس دموعها: نعم والله، إني لم أقصد ما حدث.. وأنا نادمة أشدّ الندم على تصرّفي.. فلما رأى حالها قال لها افتحي الورقة وانظري بداخلها.. لم تصدق الزوجة ما رأت عيناها..

غمرتها الفرحة وهي تقرأ "*أنا حسن عادل محمد.. أؤكد وانا بكامل قواي العقلية أنني أريد زوجتي ولا أريد التخلّي عنها.. ومهما كانت الظروف ومهما فعلت، سأظلّ متمسّكاً بها.. ولن أرضى بزوجة غيرها تشـــاركني حياتي.. وهي زوجتي وشـــريكتي إلى الأبد....."*
فقامت إلى زوجها ورمت نفســـها بين يديه، والدموع تتناثر من عينيها وقالت: الحمد لله على نعمة الإســـلام لأنه جعل العصـــمة بيد الرجل.. ولو جعلها بيدي لكنت طلّقتك عشرين مرة...

كن زوجاً طيّباً ومحبّاً وكن لها الأمان.. لا تجعلها تخاف منك لأنها ستكذب عليك، وتخفي عنك الكثير.. عندما تبان أوّل شرارة لبدء شـــجار، حكّم عقلك وجِد حلاً يدل على أنّك فعلاً تحب عائلتك.. فأنت صـــاحب العقل الراجح أمام أولادك، لا تخيّب ظنّهم.. لأنك مع الوقت ستنسى أسباب الخصام، وتنقطع من ذاكرتك جميع التفاصيل السيئة، وسيلازمك سؤال واحد لا ينتهي.. *"هل كانت هذه المشكلة الصغيرة تستحق كل ما جرى"* ؟..

لا تستعجل الشر.. أمهل نفسك لحظاتٍ قبل أن تفعلَ ما تندم عليه لاحقاً.. كما قال الأعرابي: زعل النهار خلّيه لليل، وزعل الليل خلّيه للنهار"..

أمّا بعد انتهاء المشكلة وانحسار الغضب، سيعم الهدوء ويمتلئ القلب ندماً على قول المفردات التي تهدم الجبال.. سيتمنى كلٌّ منكما أن يحظى بنظرةِ شـــريكه إليه، أو يبتســـم معلناً أنه لا يحمل ضـــغينة في قلبه.. ويعود كلّ شيء كما كان بلحظات..

ولكن احذر من العتاب بعد الزعل، فالشـــيطان لن يترك تعبه يذهب ســـدى.. والعتاب في الحقيقة إشـــعال فتيل الحرب ثانية.. لأنك ســـتقول لها: *أنا آســـف حبيبتي.. ولكنك لم تحدثيني باحترام، وإنما انفجرتِ غاضـــبة بلا مبرر.....* وســـترد عليك بدورها: *أنا آســـفة عزيزي.. لم يكن قصدي افتعال مشكلة، ولكنك كنت تتجاهلني كلّ مرة لتقوم بعملك المفضّل....*

وهنا سيبتسم الشيطان مجدّداً، مشجّعاً الزوج .. نعم .. نعم .. هيّا هيا لنبدأ... فيقول الزوج: *كان عليك أن تصـبري قليلاً.. تعلمين كم أحب هذا الشـــيء، المفروض منك أن تشـــجّعيني كما أفعل معك.. تصـــرفاتك صـــبيانية.....* فتردّ عليه وقد احمرَّ وجهها، وربما تجمّع الدمع في عينيها مجدداً.. ولكنه لا يرى ذلك فهو ينظر باتجاه آخر.. فتقول له: *تريد مني ألّا ألومك ولا أناقشك في شيء.. تريد أن أصمت وأنتظر متى تعطف عليّ وتحسّ بوجودي.. أنت أناني وظالم، ولطالما كنت كذلك....* هنا سيعود الزوجان إلى المربّع الأول.. وإلى المشكلة نفسها.. أو أكبر..

لذلك يا ولدي الحبيب.. لا عتاب بعد الهدوء.. لا عتاب بعد الحنين.. فلا كان ولا صار، ولا قلتم ولا قلنا...

احذر من الشـيطان أن يوقع الشـر بينك وبين زوجتك.. فهذه عنده غاية عظمى.. قال الله سبحانه وتعالى ((وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ))..

حين تكلم سبحانه وتعالى عن السحر والسحرة، اختار من بين جميع الشرور التي يقومون بها، التفرقة بين الزوجين لأنه أشدّ خطراً.. فالساحر يستخدم سحره ليقتل ويخدع ويؤذي الناس.. ولكن الله سبحانه اختار التفرقة بين الزوجين ليحذّرنا وينبّهنا من الوقوع في مكائد الشيطان..

وروى البخاري في صحيحه، سمعت أبا أمامة يقول: إنّ الشيطان يأتي إلى فراش أحدكم بعد ما يفرشه أهله ويهيئونه.. فيُلقي عليه العود والحجر أو الشيء، ليُغضِبَهُ على أهله.. فإذا وجدَ ذلك فلا يغضب على أهله.. قال: لأنّه من عمل الشيطان...

لعلاقةٍ زوجية وديعة.. استخدمْ قانون العاطفة والدلع.. عندما تبدأ شرارة المشكلة، بسبب الغيرة، أو بسبب التبذير، أو الإهمال، أو المبالغة في الطلبات، تكلّم بحبّ، وأخبرها بنفس الكلام الذي تقوله لطفلك عندما تراه حزيناً..

المشاكل الزوجية هي أكبر همومنا.. وتتكرر باستمرار، ولن ينفع وقتها استعمال المنطق والأمور الواقعية.. فأنت تحاول أن توصل لها الفكرة بين الجيّد والسيء في الاختيار.. وبين الصحّ والخطأ في سبب اتخاذك لهذا القرار.. ومدى أهمية خطتك، ومقدار النفع الحاصل من الصبر.. بينما هي تفكّر بمقدار حبّك لها.. وتضحيتك من أجلها.. ومقدار اهتمامك بها.. لذلك.. وبكل بساطة.. ناقش بحب وعاطفة، واترك هُراء المنطق...

☆☆ لو كرّرت النصيحة كل يوم وطول العمر فلا تيأس، لأنَّ الأمر طبيعيّ.. وهذا هو الحبّ...

☆☆ لا تُفشِ أسرارك في لحظة فرح... والماضي ذهب وانتهى بكلّ ما فيه، لا تخبر به زوجتك...

☆☆ ربما يكون مزاحك معها جرحاً وإهانة لها، إذا لم تنتبه لألفاظك...

☆☆ في بعض المواقف.. اعتبرها من الغرباء.. وسوف تنجح في الحفاظ على الودّ بينكما.. هل تقاطع حديث الغرباء؟؟.. هل تنتقدهم كثيراً لأخطائهم ؟.. هل تمتنع عن قبول أعذارهم؟؟.. هل تحدثهم وكأنهم بلا عقل ؟ ...

وقفت ساعات لتطبخ لك ولأولادك وجبةً شهية، فلا تمدّ يدك للطعام، لا أنت ولا أولادك، حتى تأتي وتجلس، وتبدؤوا الأكل معاً.. تقديراً منك لجهدها، وحفاظاً على مكانتها بين أفراد عائلتك.. فإنَّ الرجل لا يُقاس بضخامته وطول شاربه، ولا بقوّته وشجاعته، ولا يُقاس بكلمته والوفاء بوعده.. وإنما يُقاس بالخير الذي يجلبه لأهله، ويُقاس بالنجاح والسعادة التي يوصلها لهم.. لأنَّ النبي صلَّى الله عليه وسلّم قال: خيرُكم خيرُكم لأهله.. وأنا خيرُكم لأهلي...

إذا أردت أن تعرف قيمة زوجتك.. اذهب إلى مكتب تشغيل الخادمات وأخبرهم أنك بحاجة لمدبرة منزل.. سوف يسألونك عن نوع العمل الذي تحتاجها فيه، هل هو طبخ، تنظيف، جليسة أطفال، عناية بالمريض.. قل لهم: أريدها تعمل كزوجة، تقوم بكل شيء لأربع وعشرين ساعة.. سترى أن الأجر يتضاعف مرات عديدة.. هذا إن قبلت إحداهنّ بالعمل...

☆☆ متى يعرف الزوج ؟..

تزوّج شاب من فتاة جميلة جداً، وأحبّها حبّاً جمّاً.. تمرّ الشهور والسنين وهما يعيشان بسعادة لا توصف.. حتى جاء يوم وأصيبت الزوجة بمرض جلدي خطير.. شعرت الزوجة أنها فقدت جمالها كله، وأصابها حزن شديد.. أمّا زوجها كان مسافراً، وفي طريقه للعودة أُصيب بحادث مؤلم أدى لفقدانِ بصره..

أكمل الزوجان حياتهما الزوجية يوماً بعد يوم، الزوجة تفقد جمالها وتتشوّه أكثر وأكثر.. والزوج أعمى لا يعلم شيئاً عن مصيبتها.. استمرت حياتهم بنفس درجة الحب والوئام، الرجل يحبها بجنون، ويعاملها باحترام، وزوجته كذلك...إلى أن جاءَ يوم وتوفّيت فيه زوجته.. حزن الزوجُ حزناً شديداً لفراق حبيبته الغالية.. وبعد الدفن، قام الزوج وخرج من المكان وحده، فناداه جاره: يا رجل، كيف ستمشي وحدك، وهي مَن كانت تقودك كلّ الوقت.. فقال الزوج: لست أعمى !.. إنما تظاهرت بالعمى، حتى لا أجرح زوجتي...

لذلك.. *يُعرف الرجلُ عند مرض زوجته.. والمرأة عند فقرِ زوجها ...*

قبل أن تتزوّج يجب أن تعرفَ أنّك تحتاج للتزوّد بالكثير والكثير من الصبر، حتى بالنسبة للأمور الصغيرة.. وأن تصبر على الزوجة والأطفال والبيت، والأمراض والتربية والتصليح، وجبال من المسؤولية.. كل شيء بعد الزواج يحتاج إلى سعة صدر، حتى في أمور لا تُلقي لها بالاً...

أراد زوجان الخروج لتناول العشاء عند أقربائهم، أكمل الزوج لبسَ ثيابه وتعطّر، ووقف أمام السيارة ينتظر زوجته.. نفد صبر الزوج من الانتظار فناداها: *أميرتي.. أين صرتِ ؟.. لقد تأخّرنا وتعبت من الوقوف !..* ردّت عليه الزوجة: *منذ ساعتين، وأنا أقول لك.. سوف أجهز بعد خمس دقائق !..*

إنها المرأة.. سِمتُها الطفولةُ والدلال وحبّ الاقتناء.. تُخبرك أنها بحاجة لحذاء جديد، وأنت تعلم انها تملك عشرينَ زوجاً مستعملاً، وعشرين أخرى جديدة.. تخبرك أنها تحتاج حقيبة يد، ولديها أكثر من ثلاثين قطعة.. تخبرك أنها تحتاج ملابس للذهاب إلى بيت أخيك، وأنت تعلم أن دولاب الملابس بجميع أبوابه يغصّ بثيابها الجميلة.. أمّا أنت فتضع ملابسك في الرفوف الصغيرة.. هذه هي الزوجة.. اعتادت الدلال عند أبيها، وتتمنّى أن يستمرّ الأمر مع زوجها...

عائلتك أمر عظيم.. وبناؤها لم يكن بالأمر الهيّن.. فلا تتساهل في الصبر والمحافظة عليها.. ابحث لهم عن أسباب الخير، وإليك أحدها.. عن أنس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ (يا بُني إذا دخلتَ على أهلك فسلِّم، يكن بركةٌ عليك وعلى أهلِ بيتك)..

في صغري كنت آخذ مصروفي وأشتري بعض القصص، وأقرأها وأُعيد قراءتها مراراً وتكراراً.. حتى إذا مللت منها أحتفظ بها وأذهب لشراء غيرها.. أصبح عندي ما يقارب خمسين قصة.. احتفظت بها لأكثر من خمسة وعشرين عاماً، ولأنها دائماً أمام عيني وأقرأها بين فترة وأخرى، أصبحت عندي من الأمور الغير مهمة من كثرة رؤيتها، وبدأت أفقد قيمتها وأحسّ أنها للصغار.. مرت السنون والسنون، فكانت أختي تأتي مع أطفالها ويحصلوا على واحدة أو اثنتين كهدية، وكذلك أولاد أقربائي وبناتهم، حتى لم يبق منها سوى عشر قصص.. ذهبت يوماً لشارع المتنبي لعلّي أجد منها فأشتري، شوقاً لأيام الطفولة.. ولكن للأسف لم أجد، بحثت في كل مكان، بحثت في المكتبات القديمة والحديثة، وعند الباعة الذين يفترشون الشوارع ويعرضون أنواع الكتب، ولكني لم أحصل على قطعة واحدة.. فلا تجعل حال زوجتك كحال هذه القصص، أصبحت عندكَ من المسلّمات من كثرة رؤيتها، فأهملتها.. وتجاهلت قيمتها الحقيقية.. بعد أن كانت حلماً بالنسبة لك.. بعد أن تعبت كثيراً للفوز بها...

لو جعلت نفســـك حكماً بينك وبين زوجتك، والتزمتَ الحيادية في الحكم.. لوجدت أنَّ مســـاوئك وأخطاءك أكثر منها بمرات.. ولكن الزوجة أضعف منك فلا تجرؤ على ذكرها...

غالباً ما نســـمع جملة تُقال من بعض الأزواج عندما تنفجر الزوجات من الغضـــب وتبدأ المشـــاكل.. فيكون ردّه متعجّباً: *لماذا أنتِ غاضـبة لهذا الحد ؟.. لم أحرمكِ من شـيء.. قضـيت كل عمري أتعب لأجلكم، ولم أقصّر معكم في طعام أو شراب أو ملابس...*

في ســتينيات القرن الماضـــي قام دكتور أمريكي بعمل تجربة في علم النفس، لكي يحصـــل على إجابة للســـؤال الأبدي، هل الأكل والشـــرب يُغني عن الحاجة للعاطفة والرفق ؟.. كانت التجربة أن يقوم الدكتور بأخذ قرد حديث الولادة ويضـعه في قفص يحتوي على هيكلين لأنثى القرد.. الهيكل الأول فيه جزء شبيه بصدر الأم، لكن باقي الجسم معدن جافّ وقاسٍ جداً.. أمّا الهيكل الثاني كان جســـد لأنثى قرد لا يحتوي على طعام، لكنه مصـــنوع من مادة لينة ومغلفة بقماش مريح ودافئ...

وضـــع القرد الصـــغير داخل القفص مع الجســـدين وبدأ يتابع النتيجة، الذي تبيّن بعد لحظات أن حاجة القرد الصغير للطعام لا يمكن الاستغناء عنها.. كان يقترب بحذر شديد من الهيكل الذي يحتوي اللبنَ ويشـــرب حتى الشـــبع، ثم يبتعد عنه ويذهب لينام في حضـــن الهيكل الدافئ المريح.. استمر الصغير على هذا الحال كلما شعر بالجوع..

الجزء الثاني من الاختبار هو معرفة.. هل إن الكائن المُطعم هو مَن يمثل الأمان والحماية للقرد الصغير، أم إنه الكائن الذي يوفّر الراحة والحنان.. استمرت التجربة.. وفجأة قام الدكتور بإدخال هيكل شكله مخيف جداً ويتحرّك داخل القفص، وبدأ يراقب تصرفات القرد الجديدة..

وهنا تبيّن أن القرد الصغير هرب بسرعة باتجاه الهيكل الذي يمثل الدفء والراحة ليحتمي به، ولم يلتفت ناحية الهيكل الذي قدّم له الطعام!!.. ومع تكرار التجربة كانت تظهر نفس النتيجة دائماً.. حتى تم إيقاف التجربة لوحشيّتها...

وصايا النبيّ صلّى الله عليه وسلم للرجال ناحية المرأة كانت كلماتها بديعة ومعبرة (رفقاً بالقوارير) (اتقوا الله في النساء) (استوصوا بالنساء خيراً) (إن مِن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلقاً وألطفهم بأهله) ...

فلو بحثت جيّداً لوجدت أنَّ معظمَ وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم، بالنساء تدور حول الاعتناء بالجانب النفسي قبل الجسدي.. أما الإطعام نفسه فلا يحقّ لك المنُّ به، لأنه من أساسيات واجبك والواجب لا يُتَفضَّل به.. وإنفاقك على زوجتك حتى تستقرّ الحياة له عدة أوجه.. إنفاق المال.. إنفاق الحنان.. وإنفاق الرعاية والاحتواء.. فلو نقص جانب منهم حدث خلل في علاقتك بزوجتك، وربما تجدها قد انفجرت بعد فترةٍ من الزمن لغير سببٍ ظاهر...

☆☆ عليك بأمرَين لتحافظ على علاقة طيّبةٍ بزوجتك..

الأول.. تسعة أعشار العافية في .....!

اســـتيقظ أحد الأزواج يومـاً وتنـاول الفطور مع زوجتـه، ثم ارتدى ملابسه واستعدّ للخروج والذهاب إلى العمل.. عندما دخل مكتبه ليأخذ مفاتيحه، وجد كميةً كبيرة من الغبار على ســـطح المكتب وعلى شاشة التلفاز، فخرج في هدوء وقال لها: زوجتي حبيبتي، احضري لي مفاتيحي من على المكتب.. دخلت الزوجة لجلب المفاتيح فوجدت أن زوجها قد نقش بأصـــبعه على المكتب *"أحبك زوجتي"* التفتت لتخرج من الغرفة فشـــاهدت شـــاشـــة التلفاز وقد كتب عليها بأصـــبعه *"رفيقة عمري.. أحبك"* فخرجت من الغرفة وأعطت زوجها المفاتيح وتبسّمت في وجهه، وكأنها تخُبره أن رســـالته قد وصـــلت، وأنها ســـتهتمّ أكثر بنظافة البيت.. هكذا إذا أخطأ أحد الزوجين يجب على الآخر أن يقابل خطأه بالإحسان، ويبدل الموقف من حزنٍ إلى فرح...

سُئل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: أين نجد العافية؟؟.. فقال: تســعة أعشـــار العافية في التغافل عن الزلّات.. ثم قال: بل هي العافية كلّها...

الأمر الثاني.. القناعة...

ربّما تعجبك المرأة الحالمة الكاتبة صاحبة المغامرات والروايات.. أو تعجبك امرأة جميلة رأيتها في السوق أو الوظيفة.. أو تعجبك صاحبة الأموال.. عليك أن تقنع بما عندك.. فلو قارنت بينك وبين أصدقائك وكل مَن تعرفهم، لوجدت أن زوجتك هي الأفضل.. فليست زوجتك هي أسوأ امرأة في العالم.. وليست نساء العالم بلا عيوب...

إنها كالطفل تحبّ الدلال.. تحبّ اللهو بكل معانيه.. هل تريدها تاجرة مثلك عقلها يحوي أسرار جذب المال ؟.. أم فيلسوفة تشبهك، تكلمك بالأحاجي وتمطرك بالاقتباسات ؟.. هل تريدها فقيهة تحفظ الأحاديث والنصوص وآيات القرآن ؟.. قال أحد العلماء "اتركوا بنات الناس.. ارحموهنّ.. لا تعذبوهنَّ بأمانيكم" ...

حافظ عليها بهذه الأمرين، التغافل والقناعة.. وإلّا خسرتَ قلبها وخَرَجت خائباً، والمرأة إذا أخرجتك من قلبها.. فلن تُدخلك إليه مرّة ثانية... أبداً...

يقول أحدُ الأزواج: خاصمت زوجتي شهرين لشجار بسيطٍ حدث بيننا، لا أكلّمها ولا آكل في البيت.. و بعد شهرين تحاورنا واتفقنا على بعض الأمور و تصالحنا، و تمّ حل هذا الأمر الذي غضبت لأجله... ولكن..!

وجدت أنَّ زوجتي اعتادت النوم وحدها.. سألتها متعجباً فقالت: هكذا كانت حياتي قبل الزواج أقرأ حتى أنام، ولكن منذ أن تزوجتك وأنا لا أريد أن أزعجك بالضوء.. وفي فترة هجرك لي عُدت للقراءة، وارتحت لما اعتدت عليه سابقاً.. وكذلك شعرت أنها عندما تدخل الغرفة تستنكر رائحة نفسي فيها، وهي التي كانت لا تنام إن بعدتُ عنها عشرين سنتيمتراً.. ولم تعد تعلق على الأكل كما في السابق، *"لا تضع الكثير من الملح، انتبه لضغطك سيرتفع"* فقد اعتادت كوني أتناول الطعام خارج المنزل لمدّة شهرين، فما عاد يفرق معها ملحي في الطعام زاد أو نقص.. وبعد أن كانت لا تكفّ عن خلق أحاديث معي، أصبحت صامتة في وجودي منشغلة بقراءتها أو حياكتها، أو أي شيء يشغلها عني..

شعرت أنّي بخصامي لها انتصرتُ في أمر.. لكني خسرتُ أمامه الكثير جداً، خسرت شيئاً لم أكن أشعرُ بقيمته، وكان الثمن أغلى بكثير مما جنيته...

أما إن كانت سيئة بالفطرة.. سيئة الطباع والأخلاق ولا ينفع معها طيبتك.. وفعلت ما بوسعكَ وعجزت عن إصلاحها.. فأنت المُلام.. وذنبك أنّك أبقيتها في بيتك.. وأنت تظن أنها مسكينة أين تذهب إذا طلقتها.. على العكس.. لأن أمثالها يعشن بسعادة بعد الطلاق.. فهي لا تطيق العيش مع أحد، لا تريد أن تتعاون لتبني أسرة، أو تصنع منزلاً ملؤه السعادة.. إنّها تُحبّ الحياة بلا شريك...

وكذلك الحال مع الفتاة.. إذا كان زوجها لا يعرف قيمتها.. لا تخافي.. فمن يُهدّد بتركك سيتركك في الأخير، وتندمين أنّكِ صبرتِ كلّ هذا الوقت، ظنّاً مِنك أنّه سيُغيّر من طباعه، أو يقدّر طيبتك..

تحدّث رجلٌ سويسري مُشيداً بدورِ المرأة العربية في محبّتِها وتقديرِها لزوجها قائلاً: كم هي عظيمة المرأة العربية!!.. قلت له: وكيف ذلك؟؟.. قال: أثناء زيارتي لصديقٍ عربيّ في منزله بجنيف رأيت زوجته تخيطُ زرَّ قميصه.. وعند الانتهاء قامت بتقبيل قميصِه... فليت زوجاتنا يتعلمْنَ هذا الحبّ والاحترام!.

لم أخبره بأنها لم تكن تقبّل القميص.. وإنما كانت تقطع الخيط بأسنانها...

☆☆ أنتَ مَن يصـنع زوجتك.. فانظر إلى حالها معك اليوم.. إذا وجدتها أصـبحت ملكة، بعد أن كانت أميرة حين تزوّجتها، وضحكتها تنير حياتك وحياة مَن حولها.. فافخر بنفسك واعلم أنّك أنت من جعلها كذلك.. أما لو وجدتها حزينة.. مقهورة.. مهمومة.. فاخجل من نفسك.. فأنت من أوصلتها لما أصبحت عليه...

سـتقول لي.. ما الحلّ يا أبي !.. لقد تعبت من دوّامة المشـاكل التي لا نهاية لها، وكلّما وجدت حلاً ألتفِتُ فتأتيني المشـاكل من الجهة الأخرى... ماذا أفعل يا أبي ؟.. إن هذه المشـاكل كالقط، من أي مكان تأتيه ينقلب على ظهره.. الحلّ يا ولدي الحبيب بمنتهى البسـاطة ولن يكلّفك سوى ١% من وقتك.. كل يوم اجلس معها ربعَ ساعة، وتناقشا عن أيّ موضوعٍ ينغّص حبكما..

ربع سـاعة فقط في اليوم لها أثر عجيب.. أنصِت ولا تتحدّث، دعها تحس بقيمتها كشـريكة.. بعد أن تكمل حديثها، تحدّث أنت، ثم هي، وهكذا.. هل تعلم أنها تمثّل نسـبة ١% فقط من يومك ولكنها تبدّل كل مشاكلكَ إلى سعادة.. إمَّا ربعُ ساعة أو مشاكل للأبد.. هذا هو الحل الوحيد، ويمكنك تجربته.. بشرط ان يُحَدَّد له موعد يومي لا يتغيّر، فإذا حدث خلافٌ في أي وقتٍ من اليوم، لا تتكلّم حتى يأتي موعد النقاش في اليوم التالي.. هذا لمن أراد حقّاً أن يتخلص من مشـاكله الزوجية، لمن أحبّ عائلته ونيّته حقيقية للعيش بسعادة...

لا أكثر ولا أقل.. ربع ساعة فقط...

اعط حبك لامرأتك

وسرك لوالدتك

اصنع بنفسك ..

اصنع واحدة من أهمّ الأدوات التي تحتاجها في شبابك وشيبك، وحين هرمك، وحتى بعد موتك.. إنهم أولادك . . . هم مَن يسحبك من يدك لتنظر إلى النجوم، ويستعجلونك لتشاهد معهم حشرة صغيرة لونها غريب، ويجعلونك تستلقي لتنظر إلى السحاب، وتحزر معهم شكل الغيمة، وتشمّ رائحة الزهور، وتحيي المسافرين في الطائرات، وتتكلّم مع الدب في حديقة الحيوان.. لأنهم يحبّون هذه الأشياء ويحبّون أن تشاركهم فرحتهم.. وربما كانت فرحتك أكبر.. لأنَّ العالم يختلف بعيونهم... يكبر قليلاً ليُعينك في تصليحات البيت، ويذهب معك للعمل.. يسير على خُطاك في مساعدة مَن يحتاج للعون.. يتخلّق بأخلاقك، ويتكلّم مع الناس بنفس أدبك.. يصبح نسخة منك ومثل حسناته تُضاف إلى حسناتك.. تتسمّى باسمِه، وتتكِئ على كتفه.. وأَحَبّ إليك منه، هم أولاده...

حتى إذا ملأ الشيبُ رأسك، وانحنى ظهرك، ستنظر إليه بفخر، وينظر لك بحزن.. فإذا ودّعته يوماً سيتذكّرك بدموعه، ويشتاق لك بغصة في حلقه.. ولن يتركك حتى بعد موتك، يستغفر لك، لعله ظَفِر لك ما وعدك به النبي صلَّى الله عليه وسلّم حين أخبر: إنَّ اللهَ ليرفعُ الدرجةَ للعبدِ الصّالحِ في الجنّةِ.. فيقولُ يا ربِّ من أينَ لي هذا؟ فيقولُ باستغفارِ ولدِكَ لكَ...

أنت مَن تحتاجه في كل مراحل عمره، فلا تجعله أسيراً عندك، وإنما أخاً كريماً، وصـــديقاً عزيزاً مخلصـــاً أميناً.. تَناقَش معه في الأمور، وخذ برأيه حتى وهو صـــغير، اصـــنعه رجلاً.. تريده رجلاً**!!** عامله كرجل.. سافرت يوما إلى محافظة أخرى لزيارة أمي وأخوتي.. وقبل أن أخرج همست لولدي وهو لايزال في المدرسة الابتدائية وقلت له: *"أنت رجل البيت من بعدي، وأنا أســـتأمنك على أمك وأخوتك.. حافظ عليهم"*.. وما إن خرجت.. فإنه اعتنى بهم أفضل مني.. حتى إني عدت بعدها فوجدت أخوته يحملون هدايا غالية الثمن، وأحضـــر لأمه زجاجة عطر، وأنا حصلت على جل تثبيت الشعر...

اتركهم يصـلحون الأشـياء وخذ دور المسـاعد، تريدهم رجالاً عاملْهم كالرجال.. لا تكذب عليهم، ولا تستصـغر عقولهم، وَأَسنِد إليهم المهمّات.. تريدهم أذكياء عاملهم وعلّمهم بذكاء.. حتى طفلك الصـــغير الذي لا يســـتطيع تلفّظ الكلمات، إذا أردت أن تلقّنه كلمة جديدة، مثلاً سـيارة... لا تقل له عنن عننن عنننن أي بمعنى سـيارة.. فلن يتعلّم.. وإنما قل *"ســـيااااارة ســـي يا رة ســـيااارة"*.. عامله بذكاء ولا تستصـغر عقله، وسوف يتعلمها بسهولة . . . حتى عندما يطلبون منك شيئاً لا تستطيع إحضاره، صارحْهم.. وقل لهم عندما أمتلك ثمنه سوف أحضـــره لكم.. لا تكذب عليهم لأنهم يميزون قولك.. روى الصـــحابي الجليل أبو هريرة رضـيَ الله عنه، أنَّ رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم قال: (مَن قالَ لصبيٍّ تعالَ هاك ثم لم يُعطِه، فهي كذبة)..

كلامُك الصريح معهم يعزّز الثقة في نفوسهم، ويستشعرون أنهم كبار يُؤخذ برأيهم.. لا تستصغر عقولهم...

وكلما احترمتهم ووقّرتهم ورفعت مكانتهم أمام الناس، سيحترمهم الناس، ويوقّرونهم ويخافون منهم، والعكس بالعكس.. إذا ضربتهم أو صرخت بوجههم لإرضاء الناس، فإن الناس سيحتقرونك، ويحتقرون أولادك معك.. امدحهم أمام الناس، وسترى الفرحة بأعينهم.. وليكن شعارُك للأبد *"العائلة فوق كل الناس"* فلا تفضّل أحداً عليهم، ولا تقارن بينهم وبين أولاد الجيران.. لأنهم الأفضل دائماً...

عندما تدخل مع أطفالك لمحلّ بيع الحلويات، مهما تفقّدوا الأغراض وتأخّروا في الشراء، فإن صاحب المحل ينظر لهم مبتسماً ويقول لك: اتركهم على راحتهم إنهم أطفال، ليفعلوا ما يحلو لهم.. وربما حمل بيده قطعة حلوى وأعطاها لطفلك.. أما إن زجرتهم أمامه، وطلبت منهم الاستعجال في الشراء.. فسترى أن ابتسامة صاحب المحل تختفي تلقائياً، وسيطلب منهم أن يستعجلوا... وكذلك في أيّ مكان تذهب إليه، ستجد صاحب المكان يغضب لغضبك منهم.. مع أنه قبل قليل كان ينظر لهم مبتسماً.. فأنت مَن جلب لهم هذا.. وأنت من وضعهم في هذا المقام...

قال ابن قيّم رحمه الله: علّم ابنك أن يُقَبّلك على رأسك لا على يدك.. حتى يتعلم الشموخ والعزّة، بدلاً من أن يتعلّم الانحناء والإذلال... فأنت مَن يصوغ قيمتهم ومكانتهم في هذا العالم...

دخل شاب إلى المتحف، وقام بنزع نظارته ووضعها على أحد رفوف عرض اللوحات والتحف الفنية، ثم وقف على بعد مسافة يراقب.. واحداً تلو الآخر بدأ الزوّار ينظرون إليها متحمّسين، ويلتقطون الصور، وبعضهم يحاول اكتشاف الفكرة التي يريد صاحب القطعة الفنية إيصالها لهم.. وأراد البعض من شريكه أن يخمّن سعرها، أو مَنَعَه من لمسها..

لم تكن سوى نظارة رخيصة الثمن، ولكن اختيار المكان الأفضل لها رفع من قيمتها.. هكذا تجري الأمور.. بحسب الطريقة التي ستصنع بها أولادك، ستحدّد قيمتهم ومكانتهم...

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: والرجلُ راعٍ على أهلِ بيتِهِ وهو مسؤولٌ عنهم.. فأنت مسؤول عن أولادك لتدلّهم على الخير، وتحذّرهم من الشر.. قال سبحانه وتعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)) والأولاد من الأهل بلا شك، فعليك أن تربّيهم أفضل تربية، لتنقذهم من عذاب الآخرة.. احرص على أن تكون الجنة هي مستقرّهم ومثواهم الأبدي..

لو اقترب من المدفأة ستهرع وتركض وتصرخ لنجدته، وتبعده عنها قبل أن تكوي يده.. كذلك عليك أن تُسرع لإنقاذه إذا فعل شيئاً يقرّبه من نار جهنم وعذاب الآخرة.. التي هي أشد بكثير من نار الدنيا.. ولا مقارنة بينهما..

وتربية الأبناء تحتاج لصبر على عنادهم، وتلطف بالكلام معهم، وعدم الغضب في حالة تكرار الأخطاء.. وإنما الصبر وتكرار النصيحة بكلمة طيبة، واحترام مشاعرهم.. حتى لا ينفروا منك ومن كلامك، ولن يستمعوا لك بعدها ولو أرشدتهم إلى كنوز مدفونة.. قيل قديماً: *لا تُجبروا أولادكم على آدابكم، فإنهم مخلوقون لزمانٍ غير زمانكم...*

☆☆ حسناً !.. كيف ستربّي أبناءَك ؟.. إليك هذه النظرية ...

لابد وأنك جربت يوماً أن تقفز من قطار أو حافلة وهي تسير ببطء.. يمكنك أن تقفز عكس اتجاه سيرها وبذلك ستقف على الفور، ولكنك ستسقط على ظهرك بقوة، ويرتطم رأسك بالأرض بشدة.. وهو أمر خطير جداً، فقد تُصاب بجروح وكدمات خطيرة، أو ربما يودي بحياتك بسبب قوة اصطدام رأسك بالأرض..

أما الطريقة الصـــحيحة للقفز، هي أن تنزل مهرولاً مع نفس اتجاه الحافلة أو القطار، ثم تبدأ بتخفيف سـرعتك تدريجياً، حتى تقف.. ثم تهدأ وتستدير خلفك، لتذهب إلى منزلك بأمان..

صـــحيح أنك لن تقف بنفس الســـرعة للقفز المعاكس، ولكن النتائج ستكون طيبة.. وأخيراً.. ها أنت وجسدك بأمان.. الآن.. يمكنك تطبيق هذه المعلومة الفيزيائية في تربية أبنائك، وســترى أنها ســوف تؤتيك ثمارها بنجاح تامّ...

لنفرض أن ابنك أخطأ في أمر معيّن !.. لا تغضب ولا تُعَنّفه ولا تُكثر من قول *"لا"* (هذه الأمور تُعتبر كما لو أنك قفزت عكس الاتجاه، وســوف يحدث الاصـــطدام الذي لا يُحمد عقباه).. الحل كالآتي...

يا ولدي الحبيب ، أنا أعلم أن هذا الشـــيء جميل (القفز باتجاه ســـير القطار).. *وحتى أنا أحبه عندما كنت بنفس عمرك* (الهرولة بنفس الاتجاه لتخفيف الســـرعة).. *ولكن هذا الأمر به / مخاطر / عيوب / أذى للآخرين*..... (التوقف والهدوء بعد الهرولة).. *لنجرب شيئاً آخر أقل ضرراً* (تستدير للخلف وتذهب لوجهتك بأمان)...

مثال: ولدك الصغير يلعب بالكرة داخل غرفة الجلوس..

"حبيبي المغامر الصغير، أنا أعلم أنَّ اللعب بالكرة أمر ممتع.. حتى أنا أحبّه عندما كنت بعمرك.. ولكن اللعب بالكرة داخل البيت ممكن أن يؤذي أخاك الصغير، أو تكسر بعض الأغراض، وهي غالية الثمن، لقد تعبت كثيراً لأتمكّن من شرائها.. تعال معي لنلعب في الحديقة، فالمكان واسع هناك لتجرب أفضل مهاراتك" ..

ضع قبلةً على خده.. وامسح بيدك على شعره.. وبادر بحمل الكرة وإمساك يده بلطف، ثم الخروج معه الى الحديقة..

عندما تفعل هذا فإنك مشيت معه، ثم أمسكت يده، واستدرت وعدت به إلى الطريق الصحيح.. وأفضل ما في هذه العملية أنها سوف تعيد برمجةَ عقلك، أنت وولدك الصغير، للتعامل بهدوء في كثير من المواقف...

لا تعارض أولادك في كل أمر صغير أو كبير، فكلما عارضت كلما زاد عنادهم.. قل نعم، نعم، ثم بيّن له خطأه، وأمسك يده بحنان، واستمر معه ثم أرجع به إلى الصواب...

ويمكنك تجربة هذا مع الغرباء أيضاً...

عام ٢٠١٩ تم تشغيل ما يقارب من تسعين ألف شخص بصفة أجير يومي في وزارة الكهرباء.. ولكنهم صُـدِموا بتأخّر الراتب لأكثر من ستة أشهر، خرجت مجموعة من الشباب في مظاهرة غاضبة، أمام إحدى الدوائر الحكومية التابعة لوزارة الكهرباء.. وكانوا ينوون حرقها إذا لم تُنَفَّذ مطالبهم.. بعد انتظار أمام البوابة ومناوشات بالحجارة وسبّ وشـــتم وتوجيه الاتهامات لبعض المســـؤولين، خرج لهم رجلٌ بزيٍّ عربي من داخل الدائرة الحكومية، كان أحد وجهاء العشـــائر أُرسِـــل للتفاوض مع المتظاهرين..

وقف على مســافة ليســت بالبعيدة عنهم وحمل مكبر الصــوت بيده.. عرّفهم بنفســه وحياهم ثم قال: *هذه البناية الحكومية لكم ولملككم، احرقوها وافعلوا بها ما تشاؤون.. لكن تذكروا أنّ فيها جميع أسمائكم، وأسماء أقربائكم، وسجّلاتكم والأوامر الإدارية.. إذا أُحرقت فلن يتبقّى شـــيء.. وإذا ذهبت أوامركم الخاصـــة بالتوظيف، فإنّ الفقير ســـوف يذهب تعبه ســـدى...* بعد هذه الكلمات البســيطة التي كلّفت صـــاحبها دقيقتين، هدأ الجميع وانتهى كل شـــيء بســـلام.. وعادوا إلى منازلهم يتجرّعون أمرين ، أحلاهُما مُرّ...

لن أزعجك بعد الآن ...

لن يتعلم أولادك وزوجتك منك شيئاً، إن لم تلتزم به أوّلاً.. فكن القدوةَ لهم.. كان "عبدالله بن مسعود" رضيَ الله عنه يصلّي في الليل وابنه الصغير نائم فينظر إليه قائلاً: من أجلك يا بني، ويتلو قوله تعالى ((وكان أبوهما صالحاً)).. فإذا كانَ الأب قدوةً ورجلاً صالحاً وعلاقته بالله قوية، حفظ الله له أبناءه.. كما في القصة المذكورة في سورة الكهف، حفظ الله الكنز للولدين بصلاح أبويهما..

ومن الطبيعي أن أولادك لن يُعجبهم كثيراً من نصائحك، ويظنون أنك تريد أن تحرمهم من التمتّع بهذه الحياة.. فعندما تربّيهم أخبرهم أن هذا لمصلحتهم، ومصلحة العائلة والحفاظ عليها.. كن القدوة لهم..

☆☆ لا تتلّفظ بكلمات سيئة أمامهم، لأن الطفل لا يستمع لكلامك، وإنما يقلّدك.. وليس بأقوالك فقط، وإنما يقلّدك بأفعالك وتصرفاتك، وحتى الحركة التي تفعلها دون قصد وتكرر فعلها بكثرة، سوف يقلّدك بها.. لذلك اختر كلماتك وأفعالك بعناية، لأنّ هناك مَن يراقبك ليحذوَ حذوك.. كن القدوةَ وعلّمهم الطيبة والتسامح ومساعدة الناس، لأنّ العمر طويلٌ وهم بحاجة أن يعيشوا بسلام..

☆☆ اصـــنع من طفلك ولداً مؤدّباً يخاف من المعلم فينجح، ويخاف أمه فيطيعها.. خيرٌ من جعلِه شـــرســـاً قوياً، ويأتيك كل يوم بمصيبة . . . حتى إذا وصل مرحلةَ الشباب.. أدخله نادياً لفنون القتال، ليصبح أباً ورجلاً قوياً يُعتمد عليه...

أما وهو صـــغير، اتركه على ســـجيّته وفطرته وأفكاره.. ولا تحذّره من شيء لا يعرفه، لأنك ستدلّه عليه...

الابنُ الأكبر يُعتبر العنصـــر الأســـاســـي في البيت، وهو خيرُ مُعينٍ لك ومســـــاعدك الأوّل لتربية أخوته، لأنه دائماً معهم في كلّ مكان.. لذلك أحسـن تربيته، واغرس بداخله المسـؤوليّة.. ولكن انتبه!! ربمـا أنـت تربّي الابنَ الأكبر فقط، وتُهمِـل البقيـة.. أو تفعل العكس، وتجعل الابن الأكبر يتنازل لأخيه الصـغير دائماً، يتنازل عن ألعابه أو دوره في اللعب أو الاسـتحمام.. وهذا ما يجعله يشـعر بالظلم أو يكبت مشاعر الكُره لأخيه.. لا تفعل هذا لأنها تشجّع الصغير على البكاء كلما أرادَ شيئاً، وتطفئ في قلب الكبير الإحساس بمكانته وتقديره كقائد...

وإياك أن تفضّـــل أخاً على آخر، فهذه جريمة كبرى، تُعاقَب عليها مع مرور الزمن . . . سكن رجل وزوجته في شقة صغيرة في إحدى مدن مصر، أمنية الأب كانت أن يُرزق بولد.. ولكن.. قدّر الله له في كل مرة أن يُرزق بفتاة، ثم أخرى، وأخرى.. كان الأب يكتم حزناً في قلبه وينتظر تحقق أمنيته.. حتى أصـــبح الحلم حقيقة بعد انتظار وصـــبر طويل.. وبعد أربع بنات يأتي الولد، ليســـتحوذ على الحبّ والدلال وحده.. الأب لا يرى في البيت غيره.. لا يجرؤ أحد على منعه من حاجة أرادها ليلهو بها.. يفعل ما يحب، ويكســـر ما يحب، ويمزق ويضرب.. المهم ألّا يُسمع صوته وهو يبكي، لأنه أمر محظور..

كبر قليلاً ودخل المدرســـة، وتفاجأت البنات بمقدار الاهتمام بحقيبته المدرســـية، ومحتواها، وكثرة ملابســـه الجميلة.. بينما كانت الفتيات يقضـــين ســـنة كاملة بقطعة ملابس أو قطعتين.. حتى طعامه خاص، ومصروفه اليومي مساوٍ لما تحصل عليه الأربع بنات.. مرّت ســـنون، وملكٌ يترفه في النعيم، وأربع خادمات يتطلّعنَ إليه بحســـرة.. نجح الأمير الصـــغير في أولى مراحل الدراســـة الابتدائية، فرحة الأبِ الظالم لا يســـعُها البيت.. أحضـــر له صـــندوقاً مغلّفاً يحتوي لعبةً باهظة الثمن، وأُقيمت له حفلة جميلة استمتع بها الجميع.. وبعد شـهرين تقريباً دخلت البنت الكبرى تقفز فَرِحة، وقد حصـــلت على درجة الامتياز في الجامعة، وهي تُوهم عقلها بفرحة واحتفال وهدايا تُقدَّم لها.. مثل ما حدث مع أخيها..

فتحت الباب ودخلت مسرعة.. قالت وهي تضحك: *لقد نجحت... أنا الأولى.. أنا الأولى...* فرح الجميع وهنَّأها، إلا الأب.. لم يُلقِ لها بالاً، كان يجلس وولده في حضنه يلاعبه.. انقلب سرورها حسرة وأسى، انسحبت خائبة إلى غرفتها وقد تكدّست فوق رأسها كل الذكريات المظلمة.. منذ أن تسلل هذا الصغير إلى عالمهم.. فما كان منها إلا أن غطّت نفسها بإحدى الستائر.. وسكبت على نفسها بعض الوقود.. وأحرقت روحها قبل جسدها.. وخرجت تصرخ من الألم..

ليس من ألم النار التي التهمتها مسرعة !.. وإنما صرخة سنين من العذاب.. صرخة الإهانة التي اكتوت بها لأعوام.. خرجت مسرعة نحو أخيها الصغير.. احتضنته وهي تشبك يديها حوله بقوة ليحترق معها.. وكأنها تقول لأبيها.. هذا هو أغلى شيء في حياتك.. سوف تفقده اليوم.. سوف تخسره.. سوف تضيعه كما ضاعت الابتسامة من حياتي...

بعد هذه الحادثة ندم الأب على ما مضى منه سابقاً.. وأصلح حاله مع بناته.. وصار يعدل بين بناته وبين ابنه الذي بالكاد خلّصوه من بين أحضان أخته... رحمها الله...

☆☆تسـلَّ معهم قبل أن يكبروا فتقول لم أشـبع من طفولتهم.. واغمرهم بالحنان، حتى لا يحتاجون إليه من خارج حدود بيتك.. العب معهم وكأنك بنفس أعمارهم *"أَسعِد عائلتك، وستعيش سعيداً"* .. امرح معهم.. ربما لن تشعر بمقدار السعادة التي قدّمتها لهم، ولكنك ستشعر بها في اليوم التالي، عندما يأتونك يتوسّلون لتلعب معهم، وتقفز وتضحك...

☆☆ ابتسم لأصدقائهم، وتحدّث معهم بلطف، لأن هذا يسعد أولادك...

☆☆ عندما تمشي مع طفلك الصغير اجعله يمسك أصبعك السبابة بقبضة يده.. وأمسكه أنت من معصمه.. وبذلك لن يُفلت منك حين تعبر الشارع...

☆☆ عندما يخجلون من شيء، أخبرهم أنه حدث معك عندما كنت صغيراً.. وهو ليس عيباً.. وإذا أسقط أحدهم شيئاً أو كسره، قل له كلماتٍ طيبة، لأنه في حالة خجل، ويشعر بالفشل...

☆☆ لا تشترِ لهم ما تشتهيه أنت فقط.. ولا تحرم أحدهم مما يُحبّ...

☆☆ لا تناقش موضوعاً قبل أوانه.. ولا تعدهم بنزهة مسبقاً.. انتظر حتى يأتي موعدها وستصبح مفاجأة جميلة.. ولن تكون مجبراً إذا غيّرت رأيك.. وإذا طُلب منك شيء لا تقل "نعم" أو "لا".. وإنما قل "إن شاء الله سأفعل" حتى لا تبدو كاذباً...

☆☆ ساعدهم في كلّ صغير وكبير.. ضع العطر لهم عندما يخرجون.. وساعدهم لافتتاح مشاريع مربحة.. المال لخدمتهم، فلا تتعبهم لجمع المال.. وستندم يوماً إذا جعلت أولادك يمشون مسرعين لأنهم تأخّروا عن العمل.. لأن المال لخدمتهم.. وليس العكس...

☆☆ عندما توافق على طلبهم.. استغل هذا الموقف لوضع الشروط التي تريدها...

☆☆ لا تتركهم مع الشيطان مهما كان نوعه.. جهاز أو كتاب أو صديق.. لأنَّ النفس أمّارة بالسوء.. وهناك أوقات كلّها شر، منها وقت الظهر حين تخلو الشوارع من الناس، فلا تسمح لولدك الصغير بالخروج مع أصدقائه . . . تخلّص من أشياء تُفسد فطرتهم...

☆☆ لا تضـــحك في وجه أولادك عندما يســـيئون الأدب.. وعاقبهم لأنك تحبهم وتريد لهم الخير.. وليس لأنك غاضـــب وتريد أن تفرغ همومك.. ولا تضـــرب أبداً أبداً أبداً.. ولا تضـــرب بيدك، وإنما بشـيء بسـيط.. هل تعلم كم يبلغ وزن قبضـة اليد مع الذراع.. هل تعلم كم تساوي قوة الصفعة واللطمة باليد على الوجه.. لا تضرب بيدك...

قال رسول الله ﷺ: إذا ضرب أحدكم فليتقّ الوجه...

☆☆ وإياك أن تؤذي طفلاً فإنه لن ينســـى أبداً.. لا تؤذِ طفلاً ســـواء كـان ولـدك أم ابن الجيران أو الأقربـاء والغربـاء.. فلا حـادثة تلتصـــق بالذاكرة مثل ذكريات الطفولة المؤلمة.. وتأثيرها يدوم لآخر العمر.. ويمكنك أن تسـأل كبار السـن عن طفولتهم، وسـتُدهش.. فعندما يتحدثون عنها بتفاصيلها الدقيقة، ستتمكّن من مشاهدتها فعلاً...

☆☆ لا تُســـرف في دلال أولادك.. وأعطهم القليل من المال فقط.. اجعلهم يعملون لأنك لن تدوم لهم.. هذه الحياة صارمة ولا هوادة فيها.. ولا يهم إن قسوت عليهم قليلاً لتزيد من صـلابتهم، فلست وحدك من يفعل ذلك...

تضــع أنثى الزرافة مولودها بعد حمل اســتمر لخمســة عشــر شهراً.. تتم الولادة والأم واقفة.. ويسقط المولود مع المشيمة من ارتفاع مترين لينفجر الكيس من أثر السقوط ويتحرّر المولود على الأرض..

وبعد مرور حوالي ســـاعة من الولادة يســـتطيع المولود الوقوف.. وفي بعض الحالات تقوم الأم بركله لينهض ويمشـــي.. ربما يبدو الأمر وحشيّاً لمن يشاهد زرافة ضخمة تركل صغيرها بعد وقت قصـير من ولادته.. ولكنها تفعل ذلك لتنقذه مما هو أشـد خطراً عليه.. لأنه إذا لم يستطع الجري خلال الساعات المقبلة، سوف يعود للداخل مرة أخرى، ولكن ! لمعدة السنّوريات.. فلا تبالِ بما يحبه أبناؤك، وإنما ركّز على ما هو خير لهم وأفضل...

☆☆ عاش جاران بجانب بعضـــهما البعض لفترة طويلة من الزمن.. أحدهما مدرس متقاعد.. والآخر وكيل تأمين، ولديه الكثير من الاهتمام بالتكنولوجيا.. كل منهما زرع نباتات مختلفة في حديقته.. إلا أن المدرس المتقاعد كان يعطي كمية قليلة من الماء لنباتاته، في حين أن الجار الآخر المهتم بالتكنولوجيا، أعطاها الكثير من الماء ورعاها جيداً.. كانت نباتات المدرس بســيطة ولا بأس بها.. بينما نباتات وكيل التأمين أكثر اكتمالاً وأكثر خضرة ونضارة.. وفي إحدى الليالي، هبت عاصـــفة قوية، واشـــتدت الريح وهطلت أمطار غزيرة.. حين حل الصباح، خرج كل الناس ليتفقدوا ما تسبّبت به العاصفة من أضرار، وبالطبع فقد خرج الجاران المدرس ووكيل التأمين ليتفقّدا الأضـــرار التي لحقت بحديقتهما.. رأى الأول أن نباتاته اقتُلعت من الجذور ودُمّرت بالكامل !.. بينما نباتات المدرّس لم تتضـــرّر على الإطلاق وكانت ثابتة..

فوجئ وكيل التأمين بما جرى، وذهب إلى جاره يســـأله: بعد العاصــفة حين نظرت إلى حديقتي، رأيتها قد تدمّرت بشــكل تامّ، بينما بقيت نباتاتك ثابتة.. مع إنني كنت أرعاها أفضل منك، وأعطيها المزيد من الماء، والعناية الكافية وزيادة !.. ورغم كل هذا اقتُلعت نباتاتي من جذورها، بينما لم يحدث لنباتاتك وحديقتك ما حدث معي، فهل يعقل ذلك؟؟ وكيف حدث هذا ولماذا ؟..

ابتســـم المدرّس وقال: لقد أعطيتَ نباتاتك المزيدَ من الاهتمام والماء، في حين لم تكن بحاجة لفعل كلّ هذا من أجلها.. لقد جعلت الحياة ســـهلةً بالنســـبة لها.. بينما أعطيت أنا نباتاتي كميةً معقولة من الماء، ولكنها أقلّ بقليل من حاجتها.. فاضـــطرّت لمد جذورِها في الأرض إلى مكان أبعد وأبعد بحثاً عن المزيد من الماء لتسـدّ حاجتها.. وبســـبب ذلك كانت جذورها أعمق وأطول وأمتن ومتفرعة أكثر.. مما جعل نباتاتي أثبت وأقوى.. ولهذا نجت من العاصـفة.. بينما لم تصـمد نباتاتك المدلّلة التي بقيت جذورها قصـيرة وضـعيفة وتحتاج لمُعين.. ولا تستطيع الاعتماد على نفسها وقت الشدة.. كما حدث مع نباتاتي...

هذه القصـــة تدور حول العناية الأبوية بالأبناء، لأن الأطفال مثل النباتات.. إذا تمَّ تقديم كل شـــيء لهم بســـهولة فلن يُدركوا قيمة ما يمتلكون، ولن يســـعوا إلى العمل الجاد للحصـــول على ما يحتاجون.. وسـيبقون متّكِلين على سـواهم ولن يسـتطيعوا مواجهة الحياة وأعبائها. بل لن يتعلّموا العمل بأنفسهم واحترامه وتقديره..

فمن الأفضـــل أحيانًا إرشـــادهم بدلاً من إعطائهم كل شـــيء جاهز!!.. علّمهم كيف يمشون، ولا تحملهم في الوقت الذي يستطيعون المشـــي فيه.. نعم.. لا تتركهم يتخبّطون أو يســـيرون في أي طريق ينجذبون إليه.. ولكن سِر أمامهم ودعهم يتبعون خطاك..

☆☆ لا تجمع المال لتضـــمن مســـتقبلهم، وإنما اجعلهم رجالاً يجمعون المال، وسـيكون لديهم عشـرات أضـعاف ما فكرت أن تجمع لهم... لا تصـــنع لهم، وإنما اصـــنعهم... أدخلهم أفضـــل المدارس، وليحصـلوا على أفضـل الشـهادات، وعندما يحصـلون عليها سـوف يصنعون عالمهم... هم الثروة.. وهم مشروعك في هذه الحياة... اتعب عليهم مقدماً، وسترتاح لآخر العمر...

☆☆ اختر لهم أفضـل الألقاب، وبما تريد لهم أن يصـبحوا في المســـتقبل *"حبيب بابا، عيون بابا، دكتور، طيار، قائد"* .. هذه الكلمات البسـيطة الجميلة التي تصـفهم بها، بالنسـبة لهم تشـبه البيانات الرقمية التي تدخلها في حاسـوبك ليعمل على أسـاسـها، وينتج المعلومات لاحقاً على أساس هذه البرمجة...

وإياك أن تســـيء إليهم عندما يُغضـــبوك، فتنادي *يا غبي، يا أحمق..* هذه الكلمات تقتل أحلامهم، وتهدم شخصيتهم، وتُنقص قيمتهم في نفوسهم، وتُنقص قيمتهم أمام الناس.. وأنت أيضاً سوف تكرههم، لأنك لن تراهم إلا أغبياء أو حمقى.. وينطبق عليهم المثل "أعط الكلب اسماً بغيضاً، يُسهل عليك بعد ذلك أن تخنقه"..

نعم.. لأن عقل الصـبي الصـغير كثير الحفظ وقليل التفكير.. فأنت بتصرفك تبرمج عقولهم، وترسم طريقهم..

حدّثني شـخص عن كثير من الأمور التي تحدث داخل السجون.. مثلاً في سجن "أبو غريب" في بغداد، بعض السجناء يجني الكثير من الأموال داخل الســجن عن طريق بعض أنواع الخداع والحيلة.. وما أدهشني حقاً هو ما يُباع للسجناء كأقراص للهلوسة..

حيث يقوم أحد الســجناء (البائع) بكســر قطعة من الجبس الأبيض من الحائط، وحكّها على أرض خشنة، ثم يمصها بفمه لتصبح قرصــاً دائريّاً يشــبه أقراص الدواء، فيبيعها على أنها حبة مخدرات.. والعجيب في الأمر أن الزبون (وهو سجين أيضــاً) ما إن يبتلعها حتى يبدأ بالترنّح.. لأنه أخبرَ عقله بأنها حبوب هلوســة، فيقوم عقله بالعمل على أساس هذه المعلومات.. نعم.. إنها البرمجة حرفياً...

☆☆ ضــع شــرطين لابنك وأنت تريد الثاني.. مثلاً تريد من ابنك أن ينام في التاســعة ليلاً قل له: هل ســتنام في الســاعة الثامنة أم التاسعة؟؟.. من المؤكد أنه سيختار التاسعة، ويظن أنه ربح ساعة . . . تريد منه ألّا يتأخر في الشــارع ليلاً قل له: يا بني يعجبني أن تتعشّــى معنا.. لأني أحبُّ ذلك . . .

اســتعمل الحبّ بدل القوة.. قل له لقد أصــبحت هادئاً وســتراه يهدئ، لأنها إعادة برمجة.. ولأنه يريد لفت الأنظار وجذب الانتباه.. تعامل معهم بهدوء حتى عندما يســيئون التصــرف، فهذه برمجة لهم ليستمروا عليها . . .

☆☆ لا تقل لطفلك: قم صلِّ وإلا ستذهب إلى النار.. بل: تعال نُصلي معاً لنكون في الجنة . . . لا تقل له: لا تنسَ أن تغسل يديك بعد الطعام.. بل: أنا أحبُّ رائحة يديك بعد أن تغسلها . . . لا تقل: يا غبي، لماذا لم تجب على الســؤال؟.. بل: معك حق، هذا الســؤال صــعب ويحتاج بعض المساعدة.. والسؤال الثاني ستحلّه بمفردك لأنّك ذكي... ابتعد عن الإيحاء السلبي، واستخدم التشجيع مع توفير البدائل...

☆☆ أمّا عندما تكبر في العمر، وتصــبح مُســنّاً هرماً يقتلك الفضول .. فلا تتدخّل كثيراً في أمورهم...

وأخيراً.. هذه قصة قرأتها على الإنترنت...

استيقظ طفل في السابعة صباحاً.. أيقظ والدته.. لكنها لم تستيقظ! بكى "ماما الفطور أنا جائع" صرخت في وجهه: فطور الآن! اذهب ونم..

هرب الطفل من أمه وقد أخافته بصوتها المرعب.. فتح التلفاز وجلس قليلاً.. ثم أسرع إلى المطبخ وقد غلبه الجوع.. أراد أن يصل إلى الرفّ العلوي من الدولاب لكي يجهّز لنفسه الفطور.. تعثّر وأسقط معه بعض الحاجات.. استيقظت والدته وجاءت مسرعةً لترى ما حدث.. اختبأ تحت طاولة الطعام.. أمسكته وسحبته من قميصه وأشبعته ضرباً وهي تكرر: لماذا لم تقل لي إنك تريد أن تأكل !.. تأكل السمّ.. هرب من الخوف ولم يأكل.. وربما شبع من السمّ الذي دعت به أمه...

الساعة الثانية عشرة ظهراً.. أعدت الوالدة الإفطار بعد أن شعرت هي بالجوع.. أكل الابن معها بشراهة واتسخت ملابسه.. نظرت إليه وصرخت: هل أنت غبي ؟ ألا تعرف كيف تأكل ؟ انظر إلى أيمن ابن خالتك، أصغر منك، ولكن عقله أكبر منك!.. اغرورقت عيناه بالدموع، وذهب إلى حديقة البيت يلعب وحيداً...

الساعة الثالثة ظهراً.. عاد والده من عمله.. فرح الصغير وأخذ يحدث والده عن ابن الجيران، وعن فيلم رآه على التلفاز، وعن مسلسل حدثت فيه بعض المواقف التي أضحكته بشدة.. كان الوالد مستلقياً

على السرير.. قال الطفل بهدوء: بابا،، بابا، لماذا لا ترد علي؟؟ حرّك رأس والده بيديه الصغيرتين فإذا بالوالد يغط في سابع نومة...

الخامسة عصراً.. اجتمعت صديقات الأم في المنزل.. وقد تأنّق الصغير ولبس أجمل ثيابه.. وعندما همّ بدخول غرفة الضيافة.. سحبته والدته من يده بشدة وقالت له: ألم أقل لك لا تدخل عليّ مع الضيوف!.. اذهب وشاهد التلفزيون، أو اذهب لتلعب مع أطفال الجيران...

الثامنة مساءً.. عاد الصغير وقد اتسخت ثيابه الجديدة.. وعلا صوته بالبكاء.. رأته الأم ورفعت صوتها: الله لا يبارك فيك يا أهبل! ماذا فعلت بملابسك ؟ أراد أن يشكو لها من أحمد ابن الجيران الذي ضربه.. و قال له كلاماً قليل أدب.. لكنها ضربته قبل أن يفتح فمه...

التاسعة مساءً.. جاء الوالد، واجتمع مع عائلته للعشاء.. أراد الصغير أن يحدّثه عن ابن الجيران.. لكنه كلّما همّ بالكلام قال له والده: أنا تعبان، ولست متفرّغاً للاستماع لشكواك، دعني أرتاح قليلاً...

العاشرة مساءً.. نام الصغير أمام ألعابه.. وجاءت أمه لتحمله.. وأمطرته بقبلاتها الحارة.. ثم تمتمت: أحبك.. يا أشقى طفل في العالم!.. ابتسم الأب وقال: صدقتي حبيبتي.. إنه فعلاً شقي.. الله يعيننا عليه، وعلى تربيته...

لا تستغرب ! فكثير منّا يفعل هذا ...

يمكن للأبناء أن يولدوا مؤدبين
لو كان آباؤهم كذلك ..

سلاح ذو حدين ...

هناك أمثلة كثيرة لعبارة "سلاح ذو حدين".. مثل "الأدرينالين" ..

نتعرّض في حياتنا إلى مواقفَ كثيرة تتطلّب منا حركةً سريعة لتفادي الأذى، أو الهرب.. أو نحتاج لنشـــاط معين أكثر من المعتاد لإنجاز مهمة.. كالفوز في ســـباق، أو ردة فعل قوية للهجوم والقتال.. والأدرينالين هو الهرمون الذي يمدّنا بالقوة اللازمة لذلك.. فعندما يستشعر دماغ الإنسان نوعاً من الخطر أو الحاجة لطاقةٍ إضافية، يرسل إشارةً إلى مركز العواطف والمشاعر الموجود في أسفل الدماغ، وهو بدوره يقوم بإرسال رسائل عصبية إلى النخاع الكظري المتمركز فوق الكلى، ليفرزَ الأدرينالين.. وينتقل هذا الهرمون بواسطة الدم إلى سائر أعضاء الجسم ويسرّع أداءه.. ووجود الأدرينالين في الدم يسبب ردّات فعل في كل الجسم، كزيادة معدل ضربات القلب، سرعة التنفس، ارتفاع ضـــغط الدم، تَلَقي الدماغ والعضـــلات كمية كبيرة من الأوكسجين، تباطؤ عملية الهضم، ويعمل على تنبيه الجسم ليصبح قادراً على المواجهة، أو الهرب من الخطر.. وكذلك يعتبر الوقود لمحرّك اللاعب، لأنه يمد جســـمه بالقوة والنشـــاط اللازمين للقيام بالركض أو القفز مثلاً.. أما إن تدفق بغزارة في الجسم فسيؤدي إلى توقف القلب.. ولهذا فإن الأدرينالين إما يزيدك قوة وشجاعة، أو يجعلك خائفاً مرعوباً، أو يقتلك.. ولذلك يســـمى هرمون الكر والفر.. ويعتبر سلاحاً ذا حدين...

ومن هذه الأمثلة أيضاً،، الصديق ..

أصـــبح لدينا جار جديد عندما كان عمري أربعة عشـــر عاماً وتعرفت إلى ابنهم الكبير، كان فتى قوياً يتدرب على فنون القتال، ثم انضم إلينا صديق ثالث مشاغب جداً.. كنا نحن الثلاثة نتشاجر كثيراً مع أقراننا، ونهرب من المدرسة، ونذهب إلى أماكن بعيدة، والكثير من العلامات الحمراء في بطاقة درجات الفصل الدراسي، والكثير الكثير جداً من الشكاوي تصل إلى أهالينا.. غضب أبي وحاول إبعادي عنهم ولكن لا أحد يترك المرح، وكذلك فعل والد كل من أصـــدقائي ولكن دون جدوى..

بعد فترة ترك أحدهم المدرســـة، وانتقل الآخر إلى مدرســـة ثانية.. تعرفت إلى صـــديق جديد في المدرســـة، لكنه مختلف تماماً.. صـلاة وصـيام، درجات دراسـية ممتازة، ملابس جميلة وهادئة، كرة قدم، سباحة.. ثم تقرّبت إلى أصدقائه.. كانوا يشبهونه، ولكنه أفضلهم.. بدأت أتغيّر بلا قصـــد مني.. أحببت حياتي الجديدة، حياتي الهادئة المليئة بالابتسامة.. مع الوقت بدأت أصبح نسخة منه.. أكملت دراستي حتى حصلت على شهادة الهندسة، تحسّنت علاقتي بوالدي، وأمي لم تكن تشعر بالخوف حين أخرج مجدداً..

والآن.. يجب أن تكون متأكداً أن الصديق هو أفضل سلاح ذي حدين.. فإما عالٍ يأخذك معه إلى العلا، أو سفيه يجرّك لسفاهة...

تعرّف على الأصدقاء واجمعهم حولك، لأنك ستحتاجهم على تنوّعهم.. جوهر الصداقة هو تبادل المنفعة ومشاركة الخير.. فإذا كنتَ في مكان جديد وأحببت أن تتعرّف على أحدهم، اطلب منه أن يوضح لك شيئاً بسيطاً جداً، حتى لو كنت تعرف الجواب.. هكذا وبكل سهولة أصبح صديقك.. ولتقرّبه إليك أكثر، تكلم بما يحبه هو، وتكلم عن هواياته بحب واحترام.. فكل إنسان يعتزّ بما يمتلك حتى لو كانت فكرة فإنه يحبها، ويُحب أن يمتدحها الناس ويعرفون قيمتها.. فإن تعرفت على صديق جديد فعليك أن تكتشف ما هو عزيز على قلبه.. وأن تكون وفياً وكريماً لصديقك ومساعداً له.. وتحترمه وتحذر عند التعامل معه.. ألم تجرّب يوماً أن شخصاً تشاجرت معه، وبعدها أصبحتم أفضل صديقين.. ذلك لشدة الحذر في التعامل معه بعد الصلح...

وإياك أن تخذله وقت الشدة عندما يحتاجك، فهو أغلى من المال والعمل، وأحلى من كثير من الأشياء الملونة في هذه الحياة.... أُلغيت مباراة لكرة القدم عام ١٩٣٧ في بريطانيا بعد وقت قصير من انطلاقها، بسبب انتشار ضباب كثيف.. غادر الجميع أرض الملعب باستثناء حارس المرمى، الذي لم يسمع صفّارات حكم المباراة بسبب صخب الجماهير خلف مرماه.. وظل يحرس المرمى مستعداً لأيّ تسديدة مباغِتة، لمدة خمس عشرة دقيقة إضافية.. قبل أن يأتي رجل الشرطة ويخبره بقرار الإلغاء !.. عندها قال الحارس: *يُحزنني أن ينساني رفاقي وأنا أحرسهم.. لقد ظننتُ أننا كنّا نهجم طولَ الوقت...*

☆☆ كنُ شجاعاً بين أصدقائك.. ولا تسمح لهم أن يقلّلوا من شخصيتك.. وعند المزاح الثقيل لا تركض وتتركهم يركضون وراءك ويضربونك، لأنهم سيعتادون الأمر ويضربونك في كل مرة.. فإمّا صديقٌ ينظر إليك بفخر، أو ابقَ بلا صديق...

☆☆ لا تتدخل كثيراً في أمور أصدقائك، وإن كان لابدّ من ذلك، فتدخّل بالخير فقط، ولا تذكر أحدهم بسوء أبداً.. *"إذا تشاجر صديقان فلا تحكم بينهما، فقد تخسر أحدهما.. واذا تشاجر عدوّان فاحكم بينهما، فقد تربح أحدهما"* ..

☆☆ اختر الصديق بحسب ما يحتويه من الخير، وليس لما فعله من أجلك.. لأن من تصنّع الخير ليرضيك، أو فعل خيراً ليردّ لك جميلك.. فلا تستغرب أن يعود لطبيعته عند أول امتحان...

☆☆ اختر طريقك وحياتك باختيار نوع صديقك، واختره لنفس هدفك ومستقبلك، وللدنيا والآخرة.. لأن صديقك سيسحبك معه أينما ذهب.. *"اختر صحبة تخجل أن تفعل بينهم ذنباً، واحذر من صحبة تخجل أن تفعل بينهم طاعة"* ...

☆☆ في المدرسة أو العمل لا تجعل لك صديقاً واحداً تكون له كالظل.. تعرّف على الجميع، لأن صديقك الوحيد إذا غابَ عنك يوماً، ستصبح كالطفل الذي أضاع أمّه في السوق...

بحكم العمل وتقلّبات الحياة ستلتقي بشخص لديه عاهة ظاهرة، أو يكون قد فقد جزءاً من جسده، أو أعمى أو غير ذلك.. هم نوعان !.. إما ان يكون شخصاً لديه همة عالية وطموح ونجاح، تمسك به.. فإنه معلمك وقائدك لتحدي العوائق ومواجهة الصعاب...

أو يكون شخصاً محطّماً نفسياً، تملؤه الهموم، كثير الشكوى، يغضب لأتفه الأسباب، لا يتذكّر إلا همومه ومصائبه، يريد أن يرمي نفسه في حضنك ويبكي على صدرك كلما التقيته، حدث له كل هذا بسبب التنمّر في الصغر.. ولكنه ليس من ضمن نطاق مسؤوليتك.. يعيش بلا أهداف وبلا أحلام، إنه من الفاشلين..

اهرب منه وابتعد عنه.. فالذي يشتكي كثيراً يصبح كالمرض، فلا تقترب منه ولا تتّخذه صديقاً، فلن يأتيك منه خير أبداً..

وأنت أيضاً لا تتعوّد الشكوى.. لا تصاحب كثير الشكوى، إذا ربح بيتاً في اليانصيب بكى.. لماذا ؟ يقول تذكرت أهلي، تذكرت أخي الذي مات ولم يمتلك بيتاً.. إذا أصابه شرٌّ بكى.. لماذا ؟ يقول لأنَّ الحياة كلها مصائب.. إنه لا يعرف شيئاً في هذه الحياة غير الشكوى والبكاء واعتصار الدموع...

تعرّف على شخص كثير الابتسامة، يحبّ الحياة، شخص ما إن تراه من بعيد حتى تقوم بثني عضلات وجهك الأكثر وضوحاً والتي تكون قريبة من طرفي الفم، لتكشّر عن ابتسامةٍ سيطول بقاؤها.. وبعدما تودعه ستبقى مبتسماً لفترة من الزمن.. سيُضحكك كثيراً.. وتمرّ ساعات وساعات وأنت تخوض نقاشاً لا تعرف كيف بدأ، ومتى سينتهي، ولن تتذكّر محتواه.. المهم أنه كان جميلاً...

بعض الأشخاص لتتجنب مرافقتهم ...

☆☆ الكاذب.. لا تكذب ولا تقترب من الكاذب، لأن الكذب فعلٌ خسيس.. والذي يكذب سيهون عليه فعل كلّ شيء بعدها...

☆☆ لا ترافق من هو أصغر منك سنّاً.. فعندما تصحب الكبار ستتعلّم أسرع لأنهم سبقوك بالتجارب.. وتصبح شخصاً أقوى.. ولن تتصرّف كصغير لأنهم لن يسمحوا لك.. فالتحدي يكون عندما تصاحب الأكبر منك في العمر ومع ذلك يحترمونك.. هذه قاعدة مهمة جداً لتتمسك بها، وتحرص أن يلتزم بها أولادك...

☆☆ لا تكن صديقاً لبخيل ولو لم يكن هناك صديق غيره.. لأن الصداقة هي تعاون وتبادل للمنافع.. والبخيل بخيل.. حتى الفكرة التي لديه يبخل عليك بها، ولا يريدك أن تنتفع منها...

☆☆ تجنّب الصـــديق الذي تحتاج أن تعتذر إليه في أبســـط الأمور.. أو تحتاج أن توضّـح له رأيك وتدافع عن مبادئك باسـتمرار.. هذا ليس بصديق.. فكلما زاد التواضع والاعتذار ومحاولتك إرضاءهم، كلما قلّ مقدارك.. وبذلت جهداً أكبر لتحافظ على خطوطك الحمراء...

☆☆ لا يوجد مصطلحٌ يُسمّى صديق العمل..

إنه يشبه الوقت الذي تقضيه مع سائق سيارة الأجرة (التاكسي) ثم تنزل وينتهي كل هذا الاحترام.. الصـديق هو صـديق الطفولة فقط، ولن يحلّ مكانه أحد.. عندما تحصـي أصـدقاءَك الحقيقين فإنَّ ٩٩،٩% من الأصـــدقاء الذين بدأت علاقتك بهم في العمل، لن يكونوا من ضِـــمنهم... أصـــدقاء العمل، لتنســـى هموم العمل.. وتتجاوز الوقت بسرعة.. ثم تعود للبيت...

☆☆ احذر مرافقةَ الأحمق ...

يحكى أنَّ صديقين سافرا عبر الصحراء، وقد نفد أثناء سفرهما ما كانا يحملانه من قِرَب المياه والمُؤَن.. ولكن تبقّت معهما قربة واحدة مليئة بالماء تكفيهما لمدة يومين فقط.. وبعد أن قطعا مسـافة طويلة جداً اشـــتدَّ بهما العطش، فأراد أحدهما أن يشـــرب فطلب من صـــديقه أن يعطيه قربة الماء حتى يشرب منها.. فناوله إياها.. ولكن.. ما إن رفعها إلى فمه ليروي عطشه الشديد، حتى وجدها فارغة تماماً..

سأل صاحبه عن الماء، فردّ عليه قائلاً: لقد وجدت عشبة أثناء سيرنا في الصحراء وكانت شديدة الجفاف، فصببت عليها الماء ابتغاء أن أكسب ثواب سقياها.. فنظر إلى صديقه مندهشاً ولطم على وجهه، ثم قال: عدوٌّ عاقل خيرٌ من صديق جاهل..

فلا تساعد الحمقى والأغبياء وتحسبه من التواضع.. ستتعب بلا جدوى..

☆☆ اهرب بعيداً عن صديق سوء ...

في بعض المناسبات ونحن صغار كنا نسهر مع أصدقاء لنا حتى بزوغ الفجر، ولعبتنا المفضلة هي إشعال النار، أو طرق أبواب البيوت والهرب، أو تحطيم بعض مصابيح إنارة الشوارع، أو لعبة العراك بين فريقين.. بعد أن تعبنا من الشجار والهرب، وضحكنا بصوت عالٍ ونحن نسمع صوت تكسّر زجاج المصابيح.. أشعلنا النار ووقفنا حولها كأننا نبحث عن الدفء.. مع أننا في فصل الصيف، إلا أن النار كانت ومازالت منظراً جميلاً حين تطيل النظر إليها من مسافة قريبة، وتراقبها وهي تلتهم الأغصان بشراهة.. كان أحد أولاد الجيران يجلس مع زوج أخته ينظرون إلينا من بعيد، بعد قليل أحضر إلينا بعض الحطب وقال: هل تريدون بعض فروع الشجر ؟.. ثم رماها في النار وانصرف، وكرّر إحضار الحطب لنا عدة مرات..

وبينما نحن نلعب حول النار ونضحك ونحكي قصصاً مرعبة لنخيف بعضنا، انفجر شيءٌ داخلَ النار وتبعثرت قطع الخشب المشتعلة وتطاير شرر يشبه مفرقعات الاحتفال بالأعياد.. بعد قليل حدث نفسَ الشيء بصوتٍ عالٍ أثار الرعب داخلنا، لم يُصب أحد بأذى تلك الليلة.. ولكنه أخبرنا بعد أيام أنه كان يدسّ طلقة بندقية قاتلة مع فروع الشجر اليابس الذي كان يحضره.. لقد كنا نحسبه صديقاً لنا...

أصدقاء الطفولة كثيرون، ولكنّك الأوفر حظاً إن بقي لك واحد منهم فقط.. عندما تكبر...

إنَّ صديقَ السوء كله شر.. ابتعد عنه.. حتى الخير الذي تترجاه منه ينقلب لا إرادياً إلى ضرر.. يشبه تماماً شجرة منشينيل!.. الموجودة في أمريكا الوسطى والجنوبية وفي المكسيك.. إنها مؤذية بمجرد أن تقترب منها، وتُعتبر من أكثر الأشجار السامة في العالم.. لو أكلت ثمارها قتلتك، أما لو أردت أن تحتمي تحتها من المطر، فإنّ قطرات الماء التي لامست أوراقها سوف تحرق جلدك.. ولو أشعلت بعض أغصانها، فإنَّ الدخان الناتج عنها يسبّب لك العمى... كذلك صديق السوء...

أمَّا الصديق الحقيقيّ فهو سعادة لا توصف.. حقاً لا تُوصف..

اثنان من الأصـدقاء سـافرا من مدينة إلى أخرى لينجزا بعض الأعمال، وصـــلا إلى فندق المدينة في وقتٍ متأخر من الليل وهما متعبان فاستسلما للنوم.. استيقظا فجر اليوم التالي وقد فقد أحدهما مبلغاً من المـال.. فقـال صـــديقـه: لقـد فقـدت نقوداً كـانـت في جيبي. فردّ صديقه: نعم.. فقد استيقظت في الليل وأخذتها واشتريت بها بعض الأغراض.. فقال له: خذها بالعافية عليك..

ذهبا للقيام ببعض الأعمال وإنجاز ما قَدِما من أجله وعادا إلى الفندق.. قابلهم عامل النظافة وقال لهما: كنت أنظف غرفتكم ووجدت هذا المال تحت السـرير.. فنظر بتعجّب إلى صـديقه قائلاً: ألم تقل لي إنك أخذتها !..

ردّ عليه مبتسـماً: لم يكن هناك غيرنا في الغرفة، ولو قلت لك إنني لم آخذها، لتجاذبنا الحديث ودخل بيننا الشـيطان.. لذا فضّـلت أن أدفعها من جيبي، ولا نخسر أخوتنا وصداقتنا من أجل المال...

☆☆ أتذكّر قصّــة حكاها لي أبي وكرّرها أكثر من مرة.. عن أب لديه ولد تعلّق كثيراً بأصـــدقائه الســـيئين، الأب ينظر لولده بحزن وهو يراه كيف يوقّرهم ويرفع مكانتهم مع أنهم لا يستحقون هذه المكانة في قلبه.. ولذلك أراد أن يُنمّي خبرته العقيمة في الاختيار والتعامل مع الأصدقاء.. أرسل ابنه لجلبِ اللحم من القصّاب، وما إن أحضره حتى قام الأب بإسقاط قطعة اللحم على الأرض لتلتصق بها الأتربة وبعض الأوســاخ.. ثم قال لابنه: ارجع بها إلى القصــاب وقل له إن اللحم الذي تبيعني إياه سيء وقذر.. بالمقابل قام البائع وبكل رحابة صدر بإعطائه قطعة أفضـــل من الأولى.. في اليوم التالي أرســـلهُ والده لنفس البائع ليحضــر اللحم ثانية، ومرة أخرى قام الأب بدعك اللحم بالأرض وقال له: اذهب إلى القصّاب وقل له إن هذه القطعة أكثر سوءاً من سابقتها، وأشد اتّساخاً.. ابتسم بائع اللحم وأعطاه قطعة جديدة.. في اليوم الثالث كرّر الأب إرســـال ابنه للقصّـــاب، وكرّر إفســـاد اللحم وإعادته لمحل صديقه القديم.. وأوصى ابنه ليقول للبائع، إنك تتعمّد أن تبيعنا من أسوأ الأنواع.. نظر القصاب للولد وقال: اذهب للبيت وأخبر والدك.. بأنه لو كرّر فعل هذا الأمر ألف مرة، فلن يؤثّر على صـــداقتنا.. ولا بمقدار قشة...

فلا تخسر أي انسان لأجل المال أو العمل، وخاصة الصديق.. قال رســول الله صــلَّى الله عليه وســلم: إنَّ الشَّــيطانَ قد أيِسَ أن يَعبُدَهُ المُصَلُّونَ في جَزِيرَةِ العَرَبِ، ولَكِن في التَّحريشِ بينَهُم..

الصـــديق أجمل ما في هذه الحياة.. إنّهم بنفس مكانةِ العائلة، وأغلى.. فعندما تتفرّق العائلة وينشـغل كلٌّ منهم ببيته وعائلته الجديدة.. سيبقى لك الصديق.. قبل مئات السنين والناس تقول: لم يبقَ من حلاوة الدنيا، إلا الصّلاة وصحبة الصالحين.. حافظ على صديقك بأن تُحبَّ ما يحبّه.. دلّل وامدح ما هو عزيز على قلبه.. قل له قبّل ابنك بدلاً عني.. خذ هذه الحلوى لولدك الغالي.. هذه هدية أو قصة مصوّرة لولدك الذي أحبه...إلخ

فإذا حصـــلت يوماً على صـــديق جيّد فلا تخســره.. لأنك لن تحصل عليه مرَّتين..... وكل الأشعار والأقوال والقصص لا تخبرك بالقيمة الحقيقية للصـــديق.. ولا حتى عندما تجد صـــديقاً مخلصـــاً، أو ترزق بصـديق طيّب يبقى معك مدى الحياة.. فكل هذا سيكون قاصـراً لفهم المعنى الحقيقي للصـــديق.... ولكن.. عندما تخســر صـــديقاً كان قطعة منك منذ الطفولة.. لعبت وضـــحكت وبكيت وتألمت وعملت وتشـاجرت وأكلت ودرست وتشـاركت معه كل لحظة من حياتك.. ولا يوجد بينكما أسـرار.. فكلّ ما حدث لك، حدث أمامه... فعلتم كلّ دقيقة من حياتكما معاً..... إذا خسـرت مثل هذا الصـديق بسـبب الظروف، وتقلّبات الحياة..

عندها.. وعندها فقط.. سينكشف لكَ المعنى الحقيقي للصديق...

- هل أنتَ ساحرٌ يا صديقي ؟
- لماذا ؟
- لأنّي كلّما احتجتُك تختفي !

حفنةٌ منَ المكسّرات...

من منّا لا يحبّ المكسّـرات ؟.. إنها لذيذة جداً.. وأجمل ما فيها تنوّعها، وتنوّع أشـــكالها وطعمها.. اللبّ الأبيض (بذور اليقطين) لذيذٌ رغم ملوحته المبالغ فيها.. الجوز مفيدٌ للعقل، مع أن شـكله المتعجرف غير لطيف.. أمّا الحمص المحمّص يلتصق كالتراب بداخل الفم، ويملأ أيّ فراغ موجودٍ بين الأسنان، ومع ذلك تعشقه البنات.. وكذلك الفستق الحلبي، إنه المفضّل لدى الجميع، مع أن قشرته قاسية جداً.. المكسّرات محبوبة والسبب هو تنوّعها...

وينطبق هذا الأمر تحديداً على الناس من حولك.. يمكنك أن تحبّهم إذا ركزت على الجانب الأفضـــل فيهم.. تجد بعضـــهم يبالغ ويضـخّم الأمور بشـكل غير مقبول.. وآخر تراه متجّهم الوجه عبوسـاً أغلب أوقاته.. وتجد فيهم من يلتصـق بك حتى تملّ وتبحث عن طريق آخر تهرب منه، كلما لقيته في الشـارع.. ورجلاً قاسـي الملامح زادته مصـاعب الحياة صـلابة، حتى تدفقت آثارها واسـتولت على وجهه.. ولكنك لو تقرّبت منهم، وعرفت باطنهم، لأحببتهم.. لأن هموم الحياة غيّرت طباعهم، وزادت ملامحهم قســوة.. ومع ذلك تجد تحت الوجه العبوس طفلاً يحب الضـحك.. وداخل تلك القسـوة تجد قلباً محبّاً يخاف عليك.. وتجد اللين والطيبة تطغي على ما سواها...

☆☆ لا يوجد قانون ينطبق على الجميع.. عليك أن تكون مرناً وتجرب وتكتشف الطيب الذي بداخلهم.. وتذكر دائماً.. أن الحب من أول نظرة، وليس الحقد..

كن طيباً وراقب ردة فعل المقابل.. هل هو طيب ويعاملك بالمثل، أم يستغلك ويستغل تواضعك.. ثم تصرف بما يناسب تصرفه، وبما يحفظ كرامتك وحدودك.. وكذاك الصديق وشريك العمل.. لاتكن ليناً فتُعصر، ولا قويا فتُكسر...

إن أكثر الناس طيبون، عاملهم بلطف واصبر عليهم وستكتشف ذلك.. زن كلامهم وتصرفاتهم بنية طيبة، لأن بعضهم قلبه طيب، لكنه لا يحسن الكلام والتعبير.. وابتعد عن البحث في النوايا.. ابتعد عن البحث في الأسباب..... لماذا لم يتنحَ عن الطريق لأمضي ؟.. لماذا كلما ألتفت أجده ينظر تجاهي؟.. لماذا يلاعب أطفال جاري ولا يفعل نفس الشيء مع أطفالي ؟.. لماذا .. لماذا .. لماذا ؟.. إذا أردت أن تحيا سعيداً فلا تفسّر، ولا تدقّق، ولا تحلّل كل شيء.. فالذين حلّلوا الألماس وجدوه فحماً.. ولا تحرص على اكتشاف الآخرين.. فالأفضل أن تكتفي بالخير الذي يُظهرونه أمامك...

للسعداء علامتان، كثرة الإحسان وسرعة النسيان.. ومن غاص في النوايا غرق في الخطايا.

فكلما تعمقت في النوايا كلما فتحت باباً للشيطان، وباباً للحزن..

أرجوك لا تفعل هذا !.. يكفيك ما تعاني من هموم الحياة.. أصلح نيتك تجاههم وابتسم حين تراهم.. كن سبباً للسعادة.. فكل شيء ينقص إذا قسمته على اثنين، إلا السعادة.. فإنها تزيد إذا تقاسمتها مع الآخرين...

☆☆ اشكر الناس أكثر مما قدموا لك، واحترم الضعفاء والفقراء وساعدهم، فهم ينظرون إليك.. اشترِ من المحل الصغير بدون أن تحاول تخفيض السعر، فأنت لا تفعل ذلك مع المحلات الكبيرة...

كن كريماً ولا تقطع شيئاً من أجرة السائق أو العامل الذي استأجرته.. وعندما تفرح وتذهب في نزهة، شارك السعادة مع غيرك.. وزد السائق قليلاً فوق أجرته.. وإذا أخرجت شيئا لتأكله، قدّم إلى مَن يجلس بجانبك.... تودّد لهم بالهدايا.. الجميع يحب الهدايا.. إننا بالهدايا نفرح كالأطفال، حتى لو كانت قطعة حلوى صغيرة، أو قلم رصاص.. ولا تخجل من إعطاء القليل، لأنه أفضل من الحرمان...

☆☆ كن طيباً مع الجميع، ولكن اجعل بينك وبينهم مسافة.. فكثير منهم يحب الانعزال.. لا تلتصق بهم فتصبح ثقيلاً.. ولا تسأل أحدهم عن شيء يُحسد عليه.. ماله، راتبه، عمله.. وعليك أن تتعلّم قول لا فبعض الناس كالمتسوّل.. كلما رآك قال ساعدني، احمل عني، أعطني، اشترِ لي، خذني معك، اعمل معي، حتى تُجرح أو يُقطع إصبعك، أو يُكسر ظهرك.. حتى وأنت على فراش الموت، سيقول لك: ما دمت ممدداً، سأضع طفلي الرضيع بجانبك.. أرجو أن تنتبه له، وسأعود بعد قليل.. أرجو ألّا أكون قد أثقلت عليك.....

كبار السنّ يقولون: لا تبالغ بالتواضع فيُفرض عليك...

☆☆ لا تكرّر فعلَ المعروف وأنت لا تستطيع الاستمرار عليه.. ولا تساعد الناس وكأنك تعمل عندهم، وإنما ساعدهم وأنت تعطف عليهم.. هناك فرق بين أن يُؤخَذ منك شيءٌ وأنت مجبور خائف.. وبين أن تعطي وتعفو وأنت كريم متفضل...

☆☆ جارك هو عائلتك وأكثر، حافظ عليه.. أما الغرباء !.. فلا تمزح مع الغرباء، وإذا أردت أن تكون لطيفاً تكفيك الابتسامة.. أهم فعلٍ تقوم به حين تلتقي أحدهم أن تستمع لحديثه.. لا تكذبه ولا تشكّ بقوله.. إنه على حق، ويقول مالا تعلمه.. ولكن لا تنقله لغيرك، فتُسمّى كذاباً..

☆☆ وعندما يحيّيك شـــخص يتذكرك في الماضـــي، ردّ له السلام بحبٍّ وحرارة، لأنه تذكّر شيئاً جيداً فيك...

☆☆ كن سبباً للسعادة، وساعد على إيجاد الحلول .. ولا تبيّن للناس أخطاءهم ومشـــاكلهم، لأنهم يعرفونها جيداً.. فلا تلُم الخاســـرين وتزيد همومهم، ولا تقل لأحدهم لو أنك فعلت كذا وكذا.. قل له الحمد لله، أكيد فيها خير.. ولا تقدّم النصـــيحة من تلقاء نفســـك، إلا إذا طلبها أحدهم منك.. وحتى عندما يطلبونها منك تكلّم بأدب وحيادية ولا تفرض رأيك.. لا أحد يحب الناصـــحين إلا مَن رحم الله.. ولا تحاول إصلاح الناس، سيكرهوك، ويقفوا ضدك.. ولا تتدخل فيما لا يعنيك.. فمن تدخّل فيما لا يعنيه، لقيَ ما لا يرضيه...

☆☆ لا تضحك على تصرّفات غيرك حتى لو كانت غريبة.. ولا تهمس لشخصٍ أمام آخر لأنَّ الشيطان يوسوس ليوقعَ البغضاء.. وإذا أزعجك شخص فلا تتشاجر معه، فقط ابتعد عنه حتى لا تصنع منه عدواً يتربّص بك.. لأنك إن لم تصـــلح حالك مع الغرباء، فلن تحيا بسلام حتى مع الأصدقاء، وأقرب الناس إليك..

☆☆ لا تستخفَّ بالغريب وقوته.. إن هذا الهواء الذي يحيط بنا شيء رقيق وغير مرئي.. لكن إعاقته للرصاصة المنطلقة بقوة البارود لا تُصدّق.. تقطع الرصاصة أربعة كيلومترات قبل أن تسقط وذلك بسبب إعاقة الهواء اللطيف لها.. ولكن تخيل لو أنَّ الرصاصة انطلقت والهواء غير موجود فإنها ستقطع أربعين كيلومتراً قبل أن تسقط.. فلا تستهِن بالغريب وقوّته إذا صنعت منه عدواً لك..

☆☆ تعلّم التغافل عن كثير من الأخطاء التي تواجهها من بعض الناس في حياتك، وإلا فعليك أن تتشاجر مع نصف المجتمع..

☆☆☆

☆☆ اعتذرْ إلى من أسأت إليه، ولكن تذكّر أن أثر الإساءة لن يُمحى...

أعطى أحد الآباء لابنه كيساً مليئاً بالمسامير، وقال له: يا بني.. كلما أهنت شخصاً أو ضربت أحدهم أو جرحت مشاعره بكلمة، اذهب إلى سور حديقتنا ودقّ في لوحه مساراً.. لم يفهم الولد مقصد والده لكنه امتثل لأمره، وأصبح كلما ظلم أحداً أو صرخ بوجهه أو أساء لأحد، فإنه يذهب ويدق مساراً في ذلك السّور..

مع مرور الأيام أصـــبح الابن أكثر تحكّماً في نفســـه، وكذلك انخفض عدد المســـامير التي يدقّها.. إلى أن جاء يوم لم يدق فيه أي مســـمار.. ومن شـــدة فرحه ذهب إلى والده وأخبره بذلك.. فقال له: أحســـنت يا بني.. أنت الآن شـخص يتحكّم بنفســه وأعصــابه.. لكن مهمتك لم تنتهِ بعد !..

استغرب الولد وقال: وماذا أفعل بعد ذلك يا أبي ؟.. قال الأب: في كلّ يوم لا تزعج أو تجرح أو تظلم أحداً.. انزع مســـماراً من ذلك السُّور.. وبالفعل مرت الأيام والأيام واستمرّ الولد في نزع المسامير عن كلّ يوم لا يؤذي فيه أحداً.. إلى أن وصل لليوم الذي نزع فيه آخر مسمار عن ذلك السور.. فطار فرحاً وذهب إلى والده يخبره بذلك..

أخذ الأب ابنه إلى السّور وقال: أحسنت يا بني فأنت لم تصبح شخصاً يتحكّم بأعصابه فقط !.. وإنما أصبحت شخصاً طيباً لا يؤذي أحد!!.. ولكن... انظر إلى الثقوب التي خلّفتها تلك المســـامير في السُّور!! لقد استطعت أن تنزع المسامير التي كنت تدقّها.. ولكنك لم ولن تستطيع محوَ تلك الثقوب التي خلّفتها المسامير...

وكذلك هم البشـــر يا بني !.. حين تجرح أحدهم فأنت تدقّ مسماراً في قلبه وشخصه.. وحتى إن اعتذرت وأزلت ذلك المسمار فلن يزول أثره.. بل سيبقى كذكرى مؤلمة في حياة ذلك الشخص..

كتب قبل أن ينتحر..

سأتمشّى وصولاً للجسر .. وإذا ابتسم لي شخصٌ واحدٌ أثناءَ الطريق ..

لن أقفز ...

لا رأيَ لقلبكَ في حبّه ...

☆☆ قالَ رسـولُ اللهِ صـلّى الله عليهِ وسـلّم: ما زال جبريلُ يوصيني بالجارِ حتَّى ظننتُ أنه سيورّثُه...

☆☆ قالَ رسولُ اللهِ صلّى الله عليهِ وسلّم: لا يَمْنَعْ جَارٌ جَارَهُ أنْ يَغْرِزَ خَشَبَهُ في جِدَارِهِ...

☆☆ قالَ رسـولُ اللهِ صـلّى الله عليهِ وسـلّم: ليسَ المؤمنُ الَّذي يشبَعُ وجارُهُ جائعٌ إلى جنبِهِ...

☆☆ قالَ رسولُ اللهِ صلّى الله عليهِ وسلّم: واللهِ لا يؤمِنُ واللهِ لا يؤمِنُ واللهِ لا يؤمِنُ.. قالوا: وما ذاكَ يا رسـولَ اللهِ؟؟ قال: جارٌ لا يأمنُ جارُهُ بوائقَهُ.. قالوا: يا رسولَ اللهِ وما بوائقُهُ؟؟ قال شرُّهُ...

☆☆ قالَ رسولُ اللهِ صلّى الله عليهِ وسلّم لأصحابِه: ما تقولون في الزّنا ؟ قالوا: حَرامٌ حرّمه اللهُ ورَسـوله وهو حَرامٌ إلى يومِ القيامة.. فقال رسـولُ الله صـلَّى الله عليه وسـلَّم: لأن يزني الرّجُل بعَشـر نسـوةٍ أيسَـر عليهِ من أن يَزني بِحَليلة جارِه.. قال: ما تقولونَ في السّـرقة ؟ قالوا: حرّمها الله ورَسولهُ فهي حَرامٌ إلى يومِ القيامَة.. قال: لأن يَسرق الرّجل من عشْرةِ أبيات أيسَر عليه من أن يَسرِق جارَه...

☆☆ قال رجلٌ: يا رَسولَ اللهِ، إنَّ فُلانةَ يُذكَرُ مِن كَثرةِ صَلاتِها وصَدقَتِها وصيامِها، غيرَ أنَّها تُؤذي جيرانَها بِلِسانِها ! قال: هيَ في النَّارِ.. قال: يا رَسولَ اللهِ، فإنَّ فُلانةَ يُذكَرُ مِن قِلَّةِ صيامِها وصَدقَتِها وصَلاتِها، وإنَّها تَتَصدَّقُ بالأَثوارِ مِن الأَقِطِ، وَلا تُؤذي جيرانَها بِلسانِها ! قال: هيَ في الجنَّةِ...

☆☆ قالَ رسولُ اللهِ صلّى الله عليهِ وسلّم: إنَّ لجهنمَ لَجُباباً، في كل جُبٍّ ساحلًا كساحلِ البحرِ، فيه هوامٌّ وحياتٌ كالبَخاتيِّ وعقاربُ كالبغالِ الدُّلُمِ.. فإذا سأل أهلُ النارِ التخفيفَ، قيل اخرُجوا إلى الساحلِ، فتأخذُهم تلك الهوامُّ بشفاهِهم وجُنوبِهم وما شاء اللهُ من ذلك فتكشطُها.. فيرجعون فيبادِرون إلى معظمِ النِّيرانِ ويُسَلَّطُ عليهم الجَرَبُ.. حتى إنَّ أحدَهم ليحُكُّ جلدَه حتى يبدوَ العظمُ.. فيقال: يا فلانُ، هل يؤذيك هذا ؟ فيقول: نعم ! فيُقالُ له: ذلك بما كنتَ تُؤذِي المؤمنين...

☆☆ هذا هو الجار، وهذا فضله وقدره عند الله سبحانه وتعالى.. وجبت عليك محبته وتقديم المساعدة والخير له.. وكفّ الأذى عنه..

والأمر ليس بمزاجك وطبعك في أن تحبه أو لا.. فأنت مَن يحتاجه في الدنيا والآخرة.. ولن تكلّفك محبته أكثر من كلمة طيبة، وابتسامة عندما تلقاه، وتبادل المنفعة وبعض المساعدة البسيطة.. التي ربما لا يحتاجها منك أكثر من مرة واحدة كلّ عام.. وسيردّها لك وأكثر.. فأنت من يحتاجه بدءاً وانتهاءً..

التمس له الأعذار.... تحييه ولا يرد !.. ربما كان رأسه مثقلاً بالهموم.... لديك مشكلة ولم يقف بجانبك في محنتك !.. ربما لم يعلم بها...

☆☆☆

انتقلتُ لمنزلٍ جديد عام ٢٠١٣ وكان يسكن بجانبنا رجلٌ كبير في السن وزوجته.. في منزل عمرُه قد قارب خمسة عقود.. بعض المرات يطلبون مني بعضَ المساعدة، أو نتبادل أطباق الطعام فيما بيننا، كحال معظم الناس.. أيقظتني زوجتي يوماً على صياح المرأة.. فلما خرجت وجدت أربعة من شباب الجيران يقفون أمام باب البيت.. فلما رأتني قالت لي: أين كنت ؟ ألم تسمع الأصوات ؟ أنت أقرب شخص لمنزلنا.. كيف لم تسمع ؟ سألتها مندهشاً: ماذا حدث ؟..

قالت: لقد قفز في حديقتنا لص وعبر من الممرّ الذي يفصل بيننا.. ألم تسمع الجَلَبة التي أحدثها ؟.. تبين بعدها أن هناك شخصاً كانت الشرطة تلاحقه.. واضطر إلى العبور من حديقة جارنا إلى الشارع الخلفي... الغريب أني لم أسمع شيئاً !...

مرت الأيام والأشهر وخرجت أحد الأيام من البيت فوجدت أنّ جزءاً كبيراً من سقف منزلهم قد سقط ليلاً بسبب الأمطار.. التي أدت إلى تدهور خرسانة السقف وتآكل القضبان الحديدية فيها.. ولكن بفضل الله لم يتأذَ منهم أحد...

العجيب في الأمر !.. أن سقوط سقف لا يبعد عن غرفة نومي ما يقارب عشرة أمتار.. مؤكدٌ أنه أحدث صوتاً مرعباً.. ومع ذلك لم أشعر به ولم يستطع إيقاظي...

فإذا كان جارك يغطّ في نوم عميق.. عليك أن تلتمس له الأعذار...

المرة الوحيدة التي تنظر فيها إلى وعاء جارك..

هي للتأكد من أن لديهم ما يكفي..

لا تنظر إلى وعاء جارك لمعرفة ما إذا كان لديك الكثير مما فيه...

جرعة من المرح ..

يقولُ أحد المدرسين: في بداية عملي كمدرس عملت في إحدى القرى، كـان أهـالي الطلاب يعزموني على الغـداء وكـانوا في غـايـة الكرم.. وفي أحد الأيام جاءني طـالب حيث أخبره والده أن يدعوني لتنـاول الغداء في بيتهم فقبلت عزومته.. وفي طريقي إلى بيتـه قـابلني أحد طلابي وحذّرني أنّ والد زميله بخيل إلى درجة لا تُوصـــف.. لم أعر كلامه اهتماماً وتابعت طريقي...

لما وصلت استقبلني والد الطالب بالترحاب وأدخلني إلى غرفة الضيافة وطلب من زوجته إحضار الطعام.. فلما جاءت به فوجئت بأن الغداء عبارة عن صـــحن من البرغل بالشـــعيرية مع وعاءٍ لبن.. وقال لي الوالد: تفضّـل يا أسـتاذ . . . أنا لا أحب البرغل ولا أتناوله إطلاقاً، ولكني استحييت من الرجل فأمسكت الملعقة وصرت أتناول القليل من البرغل مع اللبن، وبعد قليل دقّت زوجة الرجل الباب وقالت لزوجها: هل أحضر الدجاج؟..

فأجابها: لا.. إلى الآن نأكل في البرغل !..

كنت جائعاً في الحقيقة فقلت له: دعها تحضر الدجاج.. فرمقني بنظرة قاســـية ولم يتكلم.. وبعدها بقليل دقت الزوجة الباب ثانية.. وقالت: هل أحضر الدجاج ؟.. فقال لها: لا.. اصبري قليلاً !..

ورغم أني لم آكل إلا القليل قلتُ للرجل: الحمد لله، بارك الله فيك، شـــكراً لك.. فقال لي: العفو.. هذا واجبنا يا أســـتاذ . . . وإذا به ينادي زوجته ويقول: الآن احضري الدجاج !..

حقيقة دهشـــت واســـتغربت كثيراً وقلت لنفســـي: الآن بعد أن شـــبعنا يحضـــر الدجاج ؟.. لكن دهشـــتي كانت أكبر لما رأيت زوجة البخيل تدخل دجاجاً حياً إلى صالة الضيافة.. وأخذ الدجاج يلتقط حبات البرغل التي بقيت على السفرة...

☆☆☆

☆☆ إذا زارَك ضـــيفٌ فلا تبالغ بالمظهر والإتيكيت فتتعب.. ويصبح حملاً ثقيلاً عليك.. وتكره حضوره مرة أخرى.. فتُحرِج ضيفك وتحرج نفسك...

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كانَ يؤمنُ بالله واليوم الآخر فليُكرم ضـــيفَه... تبسّـــم بوجه ضـــيفك أوّل ما تلقاه، ومدّ يدك له بحرارة.. وقدّم له ما يحبه.. ولا تخف من خســـارة بعض المال فإنها صدقة يعوّضك الله عنها..

☆☆ تواضَع معه إن كانَ ميسور الحال.. وارفع مكانته فوق مكانتك.. ولا تشعره بأنك تراقب أفعاله (وخاصة المُخجلة منها).. تكلّم بكلامه وناقشه بمفرداتٍ قريبة من لهجته.. ولا تتفاخر عليه...

☆☆ ويجب عليك إسعاده والترفيه عنه، من باب محبته وتقديره والسرور بوجوده.. وكذلك التحاور معه، وانتقاء الكلام والمواقف الممتعة والمسلية.. كسؤال الضيف الشاب أو أولاده عن هواياته واهتماماته.. أو المغامرات والأسفار التي قام بها في حياته.. والمزاح مع الصغار بطريقة لطيفة.. والبحث عن نشاط مشترك للقيام به معاً كألعاب الفيديو، وحل الألغاز والأحاجي...

وحين ينوي الانصراف، عليك شكره على تلبية الدعوة.. والامتنان لقدومه.. ودعوته للحضور مرّةً أخرى في أيّ وقت شاء...

☆☆ اكتشفْ أحبّ الناس إلى قلبه ممن أحضرهم معه، ربما أمه أو ابنه أو زوجته.. أمطرهم بالكلمات الطيّبة، والدلال والحب، وبعض الهدايا.. أو ربما تكون هي أغراض أحضرها معه.. فعليك أن تحافظ عليها، وتعتني بها إن كانت بحاجة للعناية...

☆☆ لا تتحدّث عن كثرة المصـروفات وغلاء الأسـعار أمام ضيفك.. ولا تنظر إلى طعامه ولا تراقب طريقته في الأكل . . . جلس الضـيف يأكل وبجانبه صـاحب الدار.. فقال له صـاحب الدار: انتبه سـقطت شـعرة في طعامك !.. قال الضـيف: هل وصـل بك الحد في مراقبتي، أن ترى الشـعرة في طعامي !.. والله لن آكل معك أبداً بعد اليوم...

☆☆ أما إذا كنت أنت المدعو للضـيافة، وذهبت إلى شـخص عزيز عليك.. خذ له هدية وسـترى الفرحة بعينيه.. ولا تأخذ معك شخصـاً غريباً عن صـاحب الدار.. سيكرهك صـاحب الدار، وهذا من حقّه لأنك تجاوزت حدّك.. وكن خفيف الظل والوقت والتكلفة.. قال أحد الصـالحين: إذا كنت ضـيفاً فاجلس حيث أجلسك أهل الدار.. لأنهم أعلم بعورة دارهم...

ولا تصـدِّق أنه قد بقي في زماننا هذا مَن يحب إكرام الضـيف وقدومه . . . فسلِّم . . . وتحدث باختصار . . . ولا تسأل عن أيّ شيء . . . واشرب الماء . . . وانصرف مبتسماً . . .

فنجان من القهوة ..
قد يحفظ الود أربعين عاما ..

اختر البئر المناسبة ...

قبل أن تبدأ باختيارِ الشريك.. يجب أن تعرفَ أنَّ مقولة

المرأة كالطينة تغيّرُها كيف تشاء... وخلف كلِّ رجلٍ عظيمٍ امرأةٌ...

هي أكبر كذبة تسمعُها في حياتك... فإنَّ طبعَ الإنسان لا يتغيّر إلا بموته.. لا يغيّره رجل ولا امرأة.. وحتى إن تغيّر في ظروف خاصة، ستعيده ظروفٌ أخرى لطبيعته...

☆☆ كانت هناك امرأة تخون زوجها مع شاب من خدم القصر.. فلما جاء سيده قالت للخادم: اختبئ في خزانة الملابس.. وبدأت فعل القذارة مع سيده... بعد لحظات، عاد زوجها من العمل مبكراً.. فقالت للرجل: عندما يدخل زوجي قف عند الباب، واصرخ في وجهي مهدِّداً ثم انصرف.. دخل الزوج فرأى رجلاً غاضباً يصرخ في امرأته، ثم انصرف... قال الزوج: ما الأمر ؟.. قالت: إنه أحد حرس القصر، جاء يبحث عن الخادم ليعاقبه، وقد كان غاضباً لأني أخفيته... ثم ذهبت الزوجة إلى خزانة الملابس وأمرت الخادم بالخروج والذهاب لبيته...

☆☆ بينما ذهب الأب ليحضر بعض الماء وبيته تلقاء وجهه.. نظر إلى جهة بيته فرأى رجلاً يعانق امرأته ويقبّلها.. فأخذ العصـــا وركض مسـرعاً لا يشـكّ فيما رأى.. فلما رأته زوجته من بعيد دفعت الرجل بين الأغراض وغطّته ببعضـــها... عندما وصـــل الزوج نظر يميناً وشـمالاً فلم ير شـيئاً فخرج وكذّب بصـره.. فقالت المرأة وهي توهمه إنّها قد استغربت تغيّر ملامحه: ما بك يا أبا فلان.. هل أصابك شـــيء ؟.. فكتم الذي رأى، وذهب لإحضـــار الماء... فلما كان اليوم التالي.. قالت له: هل تريد أن أذهب لإحضـــار الماء بدلاً عنك ؟ لقد أشـفقت عليك البارحة !.. قال: نعم.. وأخذ يتمشـى أمام البيت يراقبها ويتذكر ما رأى...

ذهبت الزوجة لعين الماء وهي تراقبه أيضـــاً.. فلما غفل عنها أخذت عصـا غليظة وانطلقت صـوبه، فضـربته بها وشـجت رأسـه.. فصـــرخ الرجل: ما الذي أصـــابك!! ما بك أيتها الحمقاء ؟.. قالت: يا فاســق.. أين المرأة التي رأيتها معك تعانقها ؟.. قال الزوج: لا والله لم يكن معي أحد.. وما عانقت اليوم امرأة.. قالت: بلى ! أنا رأيتها بعيني عندما كنت قرب الماء... وأخذا يتجادلان، والمرأة تقســم أنها رأت ما رأت.. فلمّا أكثرت في اليمين.. تبسّم الزوج وقال:

إن كنت صادقة، فإن هذا الماء ماء عِناق...

☆☆ إن قلب المرأة مثل الخوخة، فيه حبة واحدة.. أمّا الرجل فقلبه كالرمانة، مليء بالحبوب... والقصص التي تتحدث عن كيد الرجال وخداعهم لزوجاتهم كثيرة لا تُحصى.. لكن المرأة كالكبش الأبيض وفيه نقطة واحدة سوداء.. أما الرجل، فهو في الخداع مثل الكبش الاسود.. ولكنه المسيطر...

هذه هي الطباع.. لا تتغير، ولا يمكن أن يُعاد برمجتها.. فلا تصدق يوماً أن السيء سيصبح بالحب طيباً.. أو أنّ الكاذب سيصدُقُك القول إن وثقت به.. وربما يخبرك أحدهم أن الغضوب أو الخبيث والسارق والمعتدي والظالم سيصبح نقياً كالقطن، إن وجد حناناً يحتويه.. فهذا يكذب ثم يصدّق كذبته، ليريح عقله من ضرر اليأس.. ويريح نفسه من مشقّة الإصلاح التي يقوم بها بلا جدوى...

أما التي لا تعرف شيئاً عنها، فمن السهل جداً أن تعرف أهلها.. لأنها منهم وطبعها من طباعهم، وكذلك الأخلاق وكلّ تصرف.. هي من جنسهم وتربيتهم، فإذا عرفت أهلها فقد وصلت..

تعرّف عليهم وادرس كلّ واحد منهم من جميع الجوانب.. ولا تغرك المظاهر أو امتلاكهم للكتب والشهادات والثقافة.. فإننا نرى كلّ يوم الكثير من أصحاب الشهادات، وفيهم من الحماقة والبلادة مالا تستوعبه العقول...

لا تقلّل من شـأن معرفة الأهل عند الاختيار.. لا تغرّك طيبتها وتعاملها الجميل وكلامها المعسـول.. فمعظمه تمثيلٌ وتصـنّع.. هناك فتاة أعرفها من خلال الدراسـة والمحاضـرات، رأت شـاباً أعجبها في الكلية فمثّلت دورَ اللطيفة والخجولة التي تطلب شـيئاً فيتورّد وجهها حياءً، وإذا تكلّمت بحضـوره لن يسـمعها من يقف على بعد قدمين.. مع أنها في الحقيقة وقحة وجسـورة وسـليطة اللسـان.. حتى إن بعض الشـباب يخاف النظر المباشـر لعينيها.. أتقنت دور البراءة حتى تمكّنت منه وتزوّجته... فاجعل من أولويّاتك البحث عن الأهل والتنقيب عنهم جميعاً فرداً فرداً.. فهي منهم، وطبعها من طباعهم...

أما هذه الأيام فتحتاج النظر إلى أبعد من هذا.. تحتاج أن تتأمل في ملامح أهلها وتتفحص وجوههم.. وكذلك الجسـد.. حتى تعرفها جيداً.. لأنها لم تتقن التمثيل فقط وإنما غيّرت كل قطعة في جسـدها.. وهذا لن يضـرّك شـخصـياً.. حتى يخرج أولادك وبناتك لهذه الحياة.. فتُفاجئ أنهم طبقاً للنسخة القديمة...

ولا تتعلّق بشخص كثيراً قبل أن تعرف طبعه، فإنك سترضى به شـريكاً وتغطّي عيوبه.. وكلّما تعلقت أكثر، كلما زدت من شـدّة سقوطك... والشجرة تسقط، في الاتجاه الذي تميل إليه...

بل إن الأصـــعب من ذلك هو أن تختار أخوتها وأهلها.. فماذا تفعل عندما يطرقون بابك باستمرار.. ضـيوفاً غير مُرَحّب بهم.. وهم على طباعهم الســـيئة.. ســـوف تتحمّلهم رغماً عنك، ولن تســـتطيع طردهم.. إرضـــاءً لزوجتك.. لذلك عليك أن تبحث عن أفضـــل زوجة وتختار أهلها بعناية...

ابحث عن شـــريك لديه همة عالية في الدراســـة وتحصـــيل الشـهادة.. ومواظبة في ترتيب مظهره والاعتناء بجسده.. وعزيمة في تعلم الدين والصلاة والأخلاق والعمل بها.. وحيوية في إنشاء العلاقات مع الناس وتبادل المحبة.. ونشـاط مستمر في العمل والربح والأهداف والنجاح...

ابحث في شـــريكك عن الابتســـامة، وخفة الظل، والفكاهة، ليخفف عنك مصـاعب الحياة.. فالذي عاش في مأساة لا يبارح يشتكي ويتذكّر أيام العذاب.. ويضـــاعف همّك.. إنه ماكنة للشـــكوى والبكاء والهموم.. تعب من الحيـاة وهمومهـا، وتعبت روحـه فلا تســـتطيع الضحك ..

أما الوجه البشـوش، تصـحو صـباحاً فيقابلك بأجمل ابتسـامة تزيح عنك هموم الدنيا.. وعندما تحكي قصـــة يعرف نهايتها، لأنّه كان معجباً بك.. ومنتبهاً دائماً لما تقول...

أخبرني بعض الأصـــدقاء عن شـــاب وأمّه قدما إلى منطقتنا للسؤال عن فتاة، وعن أهلها وأخلاقها.. كلٌّ منا يعرفها جيداً.. ولم تكن تلك الفتاة بالمستوى المطلوب من السمعة الحسنة.. أمّا جواب أصدقائي فكان: لا توجد فتاة في هذا البيت !.. وإذا كان عندهم بنت فنحن لا نعرفها.. لأننا هنا ليل نهار في هذا الشـــارع، ولم نرها تخرج أبداً... ويمكنك أن تتخيّل فرحة الأم وولدها بهذا الخبر...

إذا كان الناس يكذبون !.. فكيف ستجد الشخص المناسب ؟..

هناك نسبة قليلة ظاهرة من شخصية الإنسان ولكنها تنفعك في البحث عن الشـــريك المثالي.. مثل المظهر والهيئة والدراســـة والتصـرفات.. وحتى السـواد الذي يحيط بالعينين.. هذا السـواد سـببه كثرة الهموم التي ستعديك لاحقاً، أو تعاطي أشباه المخدرات، أو السهر على المحرمات...

لن أزعجك بعد الآن ...

لا تظن أن الاختيار صـــعب، وأنك لن تعرف الإنســـان حتى تتقرّب إليه.. هذا خطأ.. فهناك دائماً شـــارات وعلامات تجعلك أكثر فراسة، وتبيّن لك ولو جزءاً بسيطاً مما تريد أن تعرف.. ليست معرفة الناس من ظاهرهم بأمر صعب..

كما لو أنك طلبت ســـيارة أجرة (التاكســـي) وكان صـــاحب السـيارة رجلاً كبيرَ السـن أنيقاً ومهندماً ويحلق ذقنه وقد صـبغ شـعره ووضـع العطر كأنه شـاب في العشـرينات.. سـيارته شـخصـية حديثة جميلة.. لونها أحمر أو أسـود أو نيلي.. المهم أنها ليسـت صـفراء بلون سيارات الأجرة..

لن يمر وقت طويل حتى تكتشـــف أنه غني ومتكبّر وســـيء المزاج وليس بحاجة للعمل.. خرج ليقضـي وقتاً أو يحمل فتاة يتسـامر معها في الطريق ويأتيه عطرها.. أو خرج لأنه سئم الجلوس في البيت والشجار مع زوجته.. وعلى الأغلب ستكتشف أنه متقاعد...

لأن المظهر الخارجي هو علامات تدلك على شخصية الفرد.. فالبدين الذي يلتهم الطعام كأنه جزارة العشـــب، فهذا في الغالب يكون كسـولاً وسـلبيًّاً وبلا أمل أو هدف.. الشـاب ومظهره المُخجل وأسـنانه الصـفراء، تدلّ على الإهمال والتذمر الدائم وعدم الرغبة بالحياة.. وقد تجاهل أن الناس تميل لكل ما هو جميل...

كذلك من ترك الدراسة والشهادة، ولا يثبت أو يوفق في عمل.. كلّ هذه الأمور هي علامات تحذّرك من الاقتراب.. لأن الذي لا يستطيع أن يتحكّم بنفسه، ويترك هواه ورغباته.. ولا يصبر على متاعب الطريق.. كيف سيتحمّلك وقت الضيق والمصاعب.. وكيف سيقدّر هذه الأشياء الرائعة، كالشهادة والمظهر الجميل والنجاح.. وكيف يتعب ليوصل عائلته إليها.. فالذي لم يتعب لنفسه، لن يتعب لغيره.. وفاقد الشيء لا يعطيه...

فمثلاً.. الأحدب (متقوّس الظهر)، الأعور، الأعرج، من فقد عضواً من جسده في حادث، كل واحد من هؤلاء تجنّبه وابتعد عنه.. ليس ذنبه.. لكن الذي مرّ عليه من الإحساس بالانكسار واليأس كفيل بتدمير كلّ أمل فيه.. وجعله أداة لتحطيم السعادة وقتلها وسحق أي شعاع للنجاح.. هو حتى لم يحاول كل هذه السنين تعديل قامته والمشي مستقيماً، وهو أمر سهل جداً.. ولكن وصل به اليأس إلى عدم التفكير بالقيام بأي خطوة.. وأنت لست مسؤولاً عن إنقاذ العالم . . يكفيك إنقاذ نفسك . . إن استطعت...

صاحب العاهة والنقص الذي يشعر به بسبب عاهته.. مصيبة كبيرة.. فهو يظن أنّ زوجته قالت هذه الكلمة لأنها تستصغره.. ونظرت إليه بهذه الطريقة لأنها تحتقره.. وأنها ستخونه لأنه معاق.. إن مصيبة عقله أكبرُ من مصيبة جسده.. والإعاقة الحقيقية في دماغه.. فهي بدلاً من أن تكون متفضلة عليه لأنها رضيت به، ستكون هي مَن تجاهد لتبحث عن رضاه وسعادته.. أمّا هو فبدلاً من أن يشكر فضلها لرعايته.. سيظلمها بسوء ظنّه وشعور النقص فيه....

وكذلك العكس.. فالطويل أكثر فرحاً وأقل حقداً.. والرشيقة أشدّ ذكاءً وترتيباً لنفسها ولما حولها... وهذا الكلام ليس خلطاً وهذراً مني.. يمكنك أن تبحثَ عن الدراسات والتجارب التي أُقيمت عن تأثير السمنة على العقل، وتأثير الجمال والوسامة على شخصية الفرد وتنمية ذكائه...

أما الكاذب ابتعد عنه.. فالكذب لا يُطاق.. والذي يكذب، سيفعل بعدها كل ما يخطر ببالك من الشر.. لأنّ الكذب أسوأ طبع من طباع الإنسان.. فالذي يسرق، إنما سرق ليشتري بالمال شيئاً يحتاجه.. والذي يفعل كثيراً من المحرمات، إنما فعل ذلك لأنه خضع لرغباته... أمّا الكذب.. فلا أحد يحتاج لفعله.. وإنما هو طبع دنيء يصعُب التخلص منه...

بل حتى صاحب الدين والصلاة والصيام ستحتاج إلى بعض الحذر منه.. لأنه يوجد بينهم الكثير ممن يضرب عائلته وأطفاله.. ويغضب لأتفه الأسباب، ويظلم.. ولا يعجبه العجب.. ويحسب نفسه قد تفرّد بالصلاح...

أمَّا إن تقرب منك شخص كانت فيه ذرةٌ من الغباء.. فاهرب ولا تلتفت.. لأني سأجدك يوماً معلقاً بحبلٍ إلى المروحة.. وسأعرف حينها أنك من فعلَ هذا بنفسه.. بحثاً عن كلّ شيء...

وكذلك الحاقد والغضوب وسيء الخلق ومن يلهث وراء شهوته.. وكثير من صفات السوء والنقيصة.. عليك الحذر.. فهذه حياتك، وأنت مَن يتحمّل مساوئ الاختيار...

وكل هذه الصفات، تُقاس للشاب وللفتاة على حد سواء...

ومهما بحثت وراقبت وسألت عن الشريك وأهله.. فلن تكتشف الحقيقة إلا بعد الزواج..

وأفضل حلّ للفتاة، ان تحرصي على تأمين مستقبلكِ، واظبي على التعلم، واعملي على بناء مصدر دخل تستندين إليه وقت الشدائد.. قد يكون ذلك من خلال شراء قطعة أرض حتى لو كانت في مكان ناءٍ، يمكنكِ لاحقًا تغليفها وسقفها وتأجيرها.. أو عبر الحصول على شهادة دراسية معتبرة، أو عمل يحترم قِيَمكِ، أو تعلم حرفةٍ ومهنةٍ لا تفنى بمرور الزمن.. المهم أن يكون لديكِ ما يدعمكِ وقت الشدة، ويسندكِ عند الحاجة، وكرامة المرأة في اموالها، (لأن مَن أنفقَ عليك ملكَك)...

كذلك تأخير إنجاب الاطفال بعد الزواج على الأقل سنتين.. إن لاحظت أن هناك خطباً ما في طبعه وتصرفاته.. حتى إذا ظهر الضبع على حقيقته.. يتم الانفصال ولا تحرج الفتاة أهلها عندما تعود إليهم تعيسة مكسورة.. تجرّ معها طفلاً أو اثنين . . .

اهجري ألف رجل ولا تتنازلي عن أموالك .. فهي سندك .. وأنت أيضاً خاصم ألف امرأة ولا تخاصم أخوتك ووالديك.. فكرامة المرأة في أموالها.. وكرامة الرجل مع أهله وأخوته...

سيُخيّل إليك أن الخير موجودٌ في ما تنسجه لك الأحلام.. ولكن ربما تكون مخطئاً...

أراد أحد الفلاسفة أن يتزوّج فرُشِّح له ثلاث فتيات جميلات.. ورأى الفيلسوف أن يختبر أخلاقهنّ.. فقدّم لكل منهن مجموعة من اللآلئ . . . فشكرته الأولى قائلة: إني لم أرَ في حياتي أجمل من هذه اللآلئ . . . أما الثانية فقالت: لو أنَّ هذه اللآلئ تُضاف إليها قطعة من الماس، لتكوَّن منها عِقد رائع...

وقالت الثالثة: احتفظ بهذه اللآلئ لنفسك، فأنا يكفيني الحبّ وحده... وكان أن اختار الفيلسوف الفتاة الأولى.. وعلّل بأن إجابتها تدلّ على أنها فتاة عاقلة ترضى بالواقع وتسعد به.. أما الثانية فإن إجابتها تدلّ على أنها فتاة شرهة طماعة.. وأمّا الثالثة فإجابتها تدل على أنها فتاة خيالية لا تعيشُ في عالم الواقع.. ومثلها لا تصلُح لمواجهة أعباء الحياة الزوجية...

ولا تعتقد أن غموض الفتاة موضة ولها سحر خاص .. على العكس تماما .. أن هذا الغموض يُخفي تفاهة ومرض نفسي .. يخالطه القليل من الغباء..

الزواج مشروع كبير.. ومن أضخم المشاريع التي ستديرها في حياتك.. فلا تتهاون بدراسته.. لا تظن أنه ضربة حظ.. كالذي رأى فتاة جميلة في حفلة أو في التسوق أو المنتزهات.. رآها مرة واحدة.. وأُعجب بها وتزوّجها... ثم طلّقها بعد شهر أو أقل... فهذه التجربة يُقال فيها: ***زواج الشواطئ اختيار خاطئ..***

لا تستعجل الاختيار.. قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: تُنكح المرأة لأربع لمالها، ولجمالها، ولحسبها، ولدينها، فاظفر بذاتِ الدين تَربت يداك . . . اختر المرأة الأفضل وحافظ عليها.. ولا تكن سبباً لفسادها، تزوّجها لك وحدك.. ولا تتزوّجها كاسية عارية فتكون من نصيبك ونصيب الجيران.. ونصف مدينتك لهم نصيب في جمالها...

المشكلة تكون في الاستعجال والاستسلام.. والقبول بأي شيء بعد أن تم رفضك للمرة الأولى.. المفروض أن الضربة التي لا تقتلك تقويك، وليس العكس.. فلا تيأس.. وابحث عن الأفضل.. لأنك ارتقيت خطوة أخرى في تجربة البحث عن أزكى رفيق...

أحسني الاختيار.. فبعد الزواج لن تستطيعي أن تغضبي.. كلا.. غير مسموح لك ذلك . . . وأنت يا حبيبي أحسن الاختيار.. وإلا ستصبح مثل من قال: *تزوّجتُ لأصونَ دِيني.. فذهب دِيني ودِين أمّي وجيراني...*

ابحث عن الأفضـــل.. وابحث عن الأجمل.. وتزوّج جميلة، وجميلة جداً.. أو ابقَ عازباً... فإمّا أن تبقى كطير بلا عش.. أو تبني عشاً تتمنّى ألّا تخرج منه...

تعرف ميخائيل نعيمة على حســناء روســية.. شــقراء طويلة الضفيرة، زرقاء العينين.. أحبها وأحبته.. لكن زواجهما كان مستحيلاً.. ومع ذلك ظل ينتظرها.. لكنها لم تأتِ، وبعد مرور خمس وســبعين سنة.. كتب في وصيته: *اتركوا باب الضريح مفتوحاً، لعلها تصل...*

فلا تيأس.. وابحث عن الافضل.. حتى لو كان صعباً حتى وإن كان حلماً.. يكفي أنه كان حلماً جميلاً... فهذا الحلم المثالي، أجمل من واقع يشوبه نقص مرير...

لا تســتعجل باختيار الزوجة ولو أصــبحت في الأربعين من عمرك.. لأنه اختيار لا يمكنك التخلص منه بســهولة بعدها.. هل تعلم أن الكثير من الأزواج يتمنّى موت شــريكه.. وربما يتمنّى قتله بيده ليتخلّص منه.. وهذا ما نشاهده دائماً في البرامج التي تعرض الجرائم، وقتل الأزواج لبعضهم...

رفس الحمار يوماً زوجة رجل فقتلها.. وبعد فترة تزوّج الرجل من امرأة أخرى.. كرّر الحمار نفس الفعل، رفس الزوجة الجديدة فقتلها... جاء الناس يعزّونه في مصيبته.. وإذا بأحد الحضور يراقبه.. فلاحظ أنّ الرجل عندما تعزّيه النساء يسألنه.. فيجيب: نعم !.. وعندما يعزيه الرجال يسألونه.. فيجيب: لا !..

فسأله الذى كان يراقبه عما سأله النساء والرجال..

فقال: تسألني النساء، أتريد أن تتزوّج مرّة أخرى ؟ فأقول نعم..

ويسألني الرجال: هل حمارك للبيع ؟ فأقول: لا ! ..

☆☆ في أحد الأيام كنت أتحدّث مع شخص فسألني عن صديق لنا.. فأخبرته أن زوجته قد توفيت قبل فترة من الزمن، والآن يبحث عن زوجة أخرى.. فقال بحسرة: إنه لمن الجيد أن تموت الزوجة..

قالها وكأنه يحسد الرجل على مصيبته...

لا تفكر ولا حتى بالخيال، وتنفخ صدرك وترفع ذقنك وتفركه.. وتقول: إن كانت سيئة سأطلقها..

هل تعرف تبعات الطلاق ؟...

نفقة لها ونفقة لأولادك، وحضـــانتهم، والتكفّل بمصـــاريف العلاج والدراســة حتى يحصــلوا على الشــهادة الجامعية، وتوفير بيت لثلاثة أعوام، وأثاث، ومقدّم ومؤخّر، ومحام يحمي جيبه.. وثلثي راتبك مدى الحياة...

الزواج كالبئر.. تنظر لها بحســرة.. وتتمنى أن تكتشــف ماذا يوجد داخلها.. وعندما تسقط فيها، تتوسل ليخرجوك منها...

فإذا كان هذا حال الزواج.. بئرٌ لا بدّ أن تســقط فيها يوماً.. فعلى الأقل..

اختر بئراً تناسبك...

إذا كنت تريد تفاحة حمراء جميلة..

. فلماذا اشتريت حبّة بطاطا وجلست أمامها..

ولا تمّر لحظة إلّا وتقول لها:

كوني تفاحة حمراء .. كوني تفاحة حمراء ...